حقيقة الشكر

بين السلف الصالح والقدرية

الدكتور/ سالم بن محمد القرني

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ كلية الشريعة

وأصول الدين

جامعة الملك خالد بأبها

المقـــدمة :

الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلاَّ بنعمة حادثة توجب على مؤديه شكره بها، وأصلي وأسلم على الشكور البشير محمد بن عبدالله وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

شُكْر الله على ما أمر به ونهى عنه واجب، فيجب أن يعترف العبد بأن الأمر أمره والنهي نهيه موقناً بأن له الخلق والأمر كما قال – سبحانه – : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) .

والاعتراف بوحدانيته – سبحانه –، وأنه الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه المستحق للعبادة وحده دون شريك، وأن كل شيء بيده ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٢)، – سبحانه – فهو مسدي النعم كلها وصاحبها وخالقها والمتفضل بها، وأعظمها بعثة الرسل، وإنزال الكتب، والحفظ بالملائكة، وخلق الجَنَّة والنَّار، وإثابة الطائعين، وعقاب العاصين، وتقدير الأرزاق، وما يريد أن يكون، فيصرف ما شاء عمن شاء، ويصيب بما يشاء من شاء – سبحانه – يرفع ويخفض، يحيي ويميت، فله الأمر كله – سبحانه –، هذا الاعتراف جزء أو ركن الشكر، واجب على كل عبد .

وهذه هي حقيقة الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نبياً ورسولاً .

وهذا هو شكر القلب، اعتراف وخضوع وذل ومحبة مع الخوف من العذاب والرجاء في الثواب والعفو والإحسان .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية ٥٤ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٦٤ .

والله - سبحانه - يحب أن يشكر، ويجب أن يشكر على ما سبق عقلاً وشرعاً وفطرة، فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده، ومحبته، وذكر آلائه وإحسانه وتعظيمه وتكبيره، والخضوع له، وإتقاء عذابه، والإقرار بالنعمة بجميع طرق الوجوب .

فالشكر أحب شيء إليه، وأعظم ثواباً، وأنه خلق الخلق وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وذلك يستلزم خلق الأسباب التي يكون الشكر بها أكمل(1) .

"فإن من حق الله على عبده أن يعبده ولا يشرك به شيئاً، وأن يذكره ولا ينساه، وأن يشكره ولا يكفره "(2) .

ومن الشكر الواجب :

شكرُ صاحب الإحســـان، وكل من أسدى لأخيه معـــروفاً، ففي الحديث : " من استجار بالله فأجيروه،ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه " .

وفي رواية : " فإن عجزتم عن مكافأته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم فإن الله يحب الشاكرين "(3) .

---

(1) انظر : شفاء العليل ص ٤٨٤ .

(2) شفاء العليل ص٢٦٨ .

(3) أخرج أوله أبو داود في كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل بالله ، وصححه الألباني ، وابن حبان في صحيحه (١٩٩/٨) ، ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع إليه معروف ، والحاكم في المستدرك (٦٤/٢) وقـــال : "صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه لاختلاف أصحاب الأعمش فيه " ، وأمَّا الـــزيادة فنســـبها المنذري في الترغيب والترهيب (٤٤/٢) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/٨) إلى الطبراني في الأوسط .

أمَّا إظهار نعمة الله والثناء على الله بها والتحدث من غير مباهاة أو إعجاب بنفسه أو غير ذلك فشكر قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً .

لأن من نعمة الله أن جعل الأعمال الفاضلة والصفات العالية ومنها الشكر باللسان والعمل من المستحبات لا من الواجبات في كثير من النعم التي من تمامها وزيادتها الشكر عليها .

فيكون الشكر مقابل الكفر في النعم والعقاب على تركه منه سلب النعمة وعقوبات أخرى[1] .

والإخبار عما يجب على المرء من الشكر لله - جل وعلا - بأعضائه على نعمه ولا سيما إذا كانت النعمة تعقب بلوى تعتريه كثير في كتاب الله وسنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأخبار السلف الصالح كما سبق من مثل قول الله - تعالى - : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2]، فأمر - تعالى - المؤمنين بذكره وشكره، ونهاهم عن نسيانه وكفره، لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعده ووعيده من موجبات محبته ورضاه، ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله، ولما في نسيانه وكفرانه من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه[3] .

ففي هذه الآية وجوب الشكر على نعم الله الظاهرة والباطنة[4] .

وأمَّا الشكر المستحب : فمنه الذي فيه إخراج شيء من ماله كملبوس أو غيره

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٦/١٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٣) انظر : أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر الجزائري ١٠٩/١ .

(٤) انظر : أيسر التفاسير ١١٠/١ .

شكراً لله على ما أنعم به من توبة، وإمَّا إصلاح ونحو ذلك فهو حسن مشروع، فإن كعب بن مالك لما جاءه المبشر بتوبة الله عليه أعطاه ثوبه الذي كان عليه واستعار ثوباً ذهب فيه إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

لكن تعيين اللباس وغيره في الشكر بدعة أيضاً، فإن فعل ذلك أحياناً فهو حسن فلا يجعل واجباً أو مستحباً إلاَّ ما جعله الله ورسوله واجباً أو مستحباً، ولا ينكر إلاَّ ما كرهه الله ورسوله فلا دين إلاَّ ما شرع الله ولا حرام إلاَّ ما حرم الله(١) .

ومنه ما حث عليه الشرع، ورغب في قوله أو فعله، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال من المسنونات والمستحبات، أو إظهار الشكر كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٢) ونحو ذلك .

فخلاصة القول في الشكر باللسان والجوارح :

أن ما كان من فعل أو قول أو إيقان وتصديق قد أوجبه الله فهو واجب، فشكر الواجب واجب، وما كان مستحباً كان شكره مستحباً(٣) .

ولأهمية فهم هذه المسألة العقدية عند المسلمين - بل عند أهل السنة والجماعة ومن وافقهم على ذلك من المسلمين، ولخطورة الانحراف عن منهج القرآن والسنة فيه، كتبت هذا البحث مختصراً ضمنته بعد هذه المقدمة الحديث عن المباحث الآتية :

١ - تعريف الشكر في اللغة والاصطلاح .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٥٥٤ .

(٢) سورة الضحى : الآية ١١ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢٠٩ .

٢ –حقيقة الشكر كما دل على ذلك القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح.

٣ – أركان الشكر وأنواعه الثلاثة .

٤ – الشكر على الأقدار .

٥ – حقيقة الشكر عند القدرية ومناقشتهم .

٦ – الخاتمة المتضمنة أهم نتائج البحث .

وقد آثرت الإيجاز مع الحرص على الوفاء بالمعنى في فقرات هذا البحث ليسهل الاطلاع والإفادة، سائلاً الله أن يعفو عن التقصير، ويغفر الزلات، وينفعني بهذا وإخواني المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تعريف الشكر في اللغة :

من معاني الشكر : الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف[١] .

أو الاعتراف بنعمة المنعم وفعل ما يحب من الطاعة وترك المعصية[٢] .

أو عرفان الإحسان ونشره[٣] .

والشكر من الله : المجازاة، والثناء الجميل[٤] .يقال : شكره، يشكره، شكراً، وشكوراً وشكراناً، كما يقال : شكره وشكر له[٥] .

فالشكر : مصدر شكرتُ له وشكرته[٦] .

فيقال : شكرت الله وشكرت لله، وشكرت بالله، وكذلك شكرت نعمة

---

(١) انظر : مختار الصحاح ص ٣٤٤ ، ولسان العرب ٤/٤٢٤ .

(٢) انظر : المصباح المنير ١/٣٨٧ .

(٣) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٣ .

(٤) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٣ ، الفائق في غريب الحديث ١/٣١٤ .

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/٤٩٣ ، ولسان العرب ٤/٤٢٣ .

(٦) انظر : المشوف المعلم ١/٤٠٣ .

الله، وتشكر له بلاءه، كشكره، فيتعدى بنفسه وباللام وهو الأكثر، وتشكرت له : مثل : شكرت له[١] .

وإني لآتيكم تشكّر ما مضى   من الأمر، واستيجاب ما كان في الغد[٢]

وقوله – سبحانه – : ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ [٣] يحتمل أن يكون مصدراً كقعد قعوداً، وأن يكون جمعاً كبرد بروداً، وكفر كفوراً[٤] .

ورجل شكور : كثير الشكر .كما قال الله عن نوح – عَلَيْهِ السَّلَامُ – : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [٥]، وفي الحديث : " أفلا أكون عبداً شكوراً "[٦] .

والشكور من أسماء الله المتضمن صفته – سبحانه –، وقيل : معناه : الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم .

والشكور من أبنية المبالغة[٧] .

وأمَّا الشكور من عباد الله فهو المجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما فرض عليه من العبادة[٨] .

---

(١) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٣ ، والمصباح المنير ١/٣٧٨ .

(٢) أنشده أبو علي . انظر : لسان العرب ٤/٤٢٣ .

(٣) سورة الإنسان : من الآية ٩ .

(٤) انظر : مختار الصحاح ص ٣٤٤ ، ولسان العرب ٤/٤٢٤ .

(٥) سورة الإسراء : من الآية ٣ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد ، باب قيام النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حتى ترم قدماه ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنَّار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٧) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/٤٩٣ ، ولسان العرب ٤/٤٢٤ .

(٨) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٤ .

والشكر: من شكرت الإبل تشكر إذا أصابت مرعى فسمنت عليه، وفرس شكور إذا علف فسمن[١]. ومنه: "والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم"[٢] .

والشكور من الدواب : ما يكفيه العلف القليل . وقيل : الذي يسمن على قلة العلف . كأنه يشكر وإن كان الإحسان قليلاً . وشكره ظهور نمائه وظهور العلف فيه، كما قال الأعشى :

ولابد من غزوة في الربيع حجون تُكل الوَقاح الشكور[٣]

والشكِرَةُ من الحلوبات التي تغزر على قلة الحظّ من المرعى أو التي تصيب حظاًّ من بقل أو مرعى فتغزر عليه بعد قلة لبن .

وضرة شكرى إذا كانت ملأى من اللبن، أو الممتلئة الضرع من النوق، كما قال الحطيئة يصف إبلاً غزاراً :

إذا لم يكن إلاّ الأماليس[٤] أصبحت لها حلــقٌ ضراها شكِــرَات[٥]

---

(١) انظــر : لســان العــرب ٤/٤٢٤ ، والفــائق في غريب الحديث ١/٣١٤ ، والنهاية في غريب الــحديث ٢/٤٩٣ .

(٢) أخــرجه الإمــام أحمد في المسند ٢/٥١٠ ، والحاكم في المستدرك ٤/٤٨٨ ، وقال : " هذا حديث صــحيح عــلى شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب فتنة الدجــال وخــروج عيســى بن مريم وخروج يأجوج ومأجــوج (٢/١٣٦٤) ، وقال الألباني : "صحيح " ، والطبري في تفسيره ١٦/٢١ .

(٣) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٤ .

(٤) الأمــاليس : جمــع أمليس ، وهي الأرض التي لا نبات فيها ، ومعنى البيت أنه يصف هذه الإبل بالكرم وجودة الأصل ، وأنه إذا لم يكن لها ما ترعاه وكانت الأرض جدبة فإنك تجد فيها لبناً غزيراً لسان العرب ٤/٤٢٥ .

(٥) انظر : لسان العرب ٤/٤٢٥ .

ولذلك قيل في معنى الشكر : مقابلة النعمة بالقول والعمل والنية، فيثنى على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في الطاعة له، ويعتقد أنه – سبحانه – موليها[١] .

وبنو شكر : قبيلة في الأزد، وبنو شاكر في همذان .

وشاكر : قبيلة في اليمن أو مخلاف عن يمين صنعاء[٢] .

قال الشاعر :

مغاوي لم ترع الأمانة فارعها   وكن شاكراً الله، والدين شاكر[٣]

وشكر :جبل قريب من جرش باليمن، له ذكر في المغازي، وقد روي أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال يوماً بأي بلاد الله شكر؟ قالوا : بموضع كذا . قال : فإن بدن الله تنحر عنده الآن، فلما رجع قوم من هناك وجدوا قومهم قتلوا في ذلك اليوم، ويقال : إنه يوم غزاهم صرد بن عبدالله الأزدي . ويقال: إن أهل تلك البلد كانت تسمي الجبل (كشكر)، فسماه النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شكر للواقعة المذكورة[٤] .

قال الله – تعالى – : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[٥] نصب شكراً ؛ لأنه مفعول له، كأنه قال : اعملوا لله شكراً، أو نصب على أنه مصدر مؤكد[٦].

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث ٤٩٣/٢ ، ولسان العرب ٤٢٤/٤ .

(٢) انظر : معجم البلدان ٢٥٥/٢ ، ٣١٠/٣ ، ٣٤/٤ ، ومعجم ما استعجم ٧٧٦/٣ .

(٣) انظر : لسان العرب ٤٢٧/٤ .

(٤) انظر : معجم البلدان ٣٥٧/٣ ، ومعجم ما استعجم للبكري ١١٣٠/٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢٨٥/٥ ، وتاريخ الطبري ١٩٦/٢ .

(٥) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٦) انظر : لسان العرب ٤٢٤/٤ .

وإذا ثبت أن الشكر من قولك: شكرت شكراً، مفعول مطلق وهو مختلف الأنواع؛ لأن مكافأة النعم تختلف، فيحتمل أن يكون جمعاً لشكر .

والصحيح أنه مصدر جاء على الفعول، لأن مقابله وهو الكفر والجحد والنفار تجيء مصادرها على المفعول، نحو: كفور ونفور .

وحتى لو كان الشكور سائغاً استعماله جمعاً، واحتمل الجمع والمصدر، لكان الأليق المصدر كما في قول الله - تعالى - : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [(١)]، فإنه لا يليق في هذا الموضع أن يقول : لا نريد منكم أنواعاً من الشكر وأصنافاً منه، بل الأليق بهم وبإخلاصهم أن يقولوا : لا نريد منكم شكراً أصلاً، فنفي إرادة نفس هذه الماهية أبلغ في قصد الإخلاص من نفي الأنواع، وكذلك ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [(٢)] .

إنَّما هو مصدر وليس بالمعدود البين الواضح جمع الشكر على الشكور، واستعماله كذلك كما لو لم يعهد ذلك في الكفور[(٣)] .

- إن من معاني الشكر في اللغة : الاعتراف بالنعمة وفعل الطاعة وترك المعصية.
- والامتلاء من ذكر المنعم .
- وظهور أثر نعمة الله على لسان العبد وقلبه وجوارحه .
- والمجازاة على فعل الجميل والإحسان .

---

(١) سورة الإنسان : من الآية ٩ .

(٢) سورة الفرقان : من الآية ٦٢ .

(٣) انظر : بدائع الفوائد ٢/٣١٧ .

- والرزق والحق والمكافأة، ومقابلة النعمة بالقول والفعل والنية الحسنة .
- والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بالقلب واللسان والجوارح .
- والشاكر من يشكر على العطاء، والشكور من يشكر على المنع .
- والشكور من أسماء الله المتضمن صفة الشكر .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [1]، ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [2] .

الشكر في الاصطلاح :

بناء على التعريف اللغوي فإنّ الشكر في الاصطلاح - الشرع - قد ذكر له العلماء تعاريف منها :

أنه : طاعة الله - تعالى - بالعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الظاهرة والباطنة . أو العمل والاشتغال بالطاعة، أو استفراغ الوسع والطّاقة في طاعة الله[3] .

وقيل : هو القيام بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً وباطناً، أو : ذكر المنعم والقيام بطاعته[4] .

وقيل : الشكر : ذكر النعمة للمنعم، والطاعة بفعل محابه وترك مكروهاته، أو إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله - تعالى - لعباده أو : " صرف

(١) سورة الشورى : من الآية ٢٣ .

(٢) سورة التغابن : من الآية ١٧ .

(٣) انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٥٠٦/١ ، ومدارج السالكين لابن القيم ٣٣٧/١ ، ٤٤٩ ، ٢/ ٤٤٣ ، وعدة الصابرين لابن القيم ص ١٢٢ .

(٤) انظر : الفوائد لابن القيم ١٣٨/١ ، ٢٥٧/٢ .

النعمة فيما من أجله وهبها الله – تعالى – للعباد "[1] .

وقد عرّفه بعضهم بقوله : " الشكر اعتراف القلب بمنة الله – تعالى – وتلقيها افتقاراً إليها وصرفها في طاعة الله – تعالى – وصونها عن صرفها في المعصية "[2]، أو " خضوع القلب واعترافه بنعمة الله وثناء اللسان على المشكور وعمل الجوارح بطاعته وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه "[3] .

وقيل : الشكر : حمد الله على النعم والثناء عليه والاعتراف بها له – سبحانه – والتصرف فيها حسب مرضاته[4] .

قال الإمام أبو جعفر الطبري : " الشكر تقوى الله والعمل بطاعته "[5] .

وقال ابن عباس : " الشكر توحيد الله "[6] .

وقيل لسفيان بن عيينة[7] :ما الشكر ؟ قال :" أن تجتنب ما نهى الله عنه"[8] .

وقيل : " الشكر : ترك المعاصي "[9] .

---

(١) أيسر التفاسير ١٠٨/١ ، ٣٥/٢ .

(٢) تفسير ابن سعدي ص ٦٧٧ .

(٣) تفسير ابن سعدي ص ٢١٢ .

(٤) انظر : أيسر التفاسير ٤٦/١ ، ١٣١/٢ .

(٥) تفسر الطبري ٧٢/٢٢ .

(٦) زاد المسير لابن الجوزي ٢٣٦/٢ .

(٧) هو : الإمام الكبير حافظ عصره ، شيخ الإسلام ، أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون ، مولى ابن مزاحم ، الهلالي ، الكوفي ثم المكي ، المحدث المتقن ، ولد سنة ١٠٧ هـ ، وتوفي سنة ١٩٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨ – ٤٧٥ ، وطبقات ابن سعد ٤٩٧/٥ .

(٨) شعب الإيمان للبيهقي ١٠٦/٤ ، والزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي ص ٢٢ .

(٩) شعب الإيمان للبيهقي ١٣٠/٤ ، وعدة الصابرين ص ١٠٤ ، والشكر لابن أبي الدنيا ص ١٨ بتحقيق طاحون ، وص ٢٤ بتحقيق زغلول .

وقال الجنيد[1] : " والشكر ألا يستعان على المعاصي بشيء من نعم الله "[2] .

وقيل : هو الاعتراف بالمنعم الحقيقي، ورؤية أن كل النعم ؛ دقيقها وجليلها منه، وكماله أن يقوم بحق النعم، ويصرفها في مرضاة المنعم[3] .

وهو مأخوذ من معنى حديث : " من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر فقد أدّى شكر ذلك اليوم "[4] .

وقيل : حده الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع[5] .وقيل : إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة له[6] . وقيل : تصور النعمة وإظهارها[7] .

وقيل : " الشكر العرفي : صرف العبد كل ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله "[8] .

وقيل في تعريفه : هو عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته،

---

(١) هـو : الجـنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري ، والد الخزّاز ، وهو شيخ الصوفية ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين للهجرة ، وتفقه على أبي ثور وغيره ، وصحب الحارث المحاسبي ، توفي سنة ٢٩٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٣٧٣/١ - ٣٧٥ ، وطبقات الحنابلة ١/ ١٢٧ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١٣٠/٤ ، وانظر : مدارج السالكين ٢٤٥/٢ ، وعدة الصابرين ص ١٢٣ .

(٣) انظر : عون المعبود ٢٨١/١٣ .

(٤) أخـرجه ابن حبان في صحيحه ١٤٣/٣ ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٦/٤) ، والنسائي في الكبرى ٥/٦ ، والطبراني في الدعاء ص ١١٦ .

(٥) انظر : مدارج السالكين ٢٤٤/٢ ، وطريق الهجرتين ١٦٨/١ ، وعدة الصابرين ص ١٢٢ .

(٦) انظر : مدارج السالكين ٢٤٤/٢ .

(٧) انظر : المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٢٦٥ ، والتعاريف للمناوي ٤٣٥/٢ .

(٨) التعاريف للمناوي ٤٣٥/٢ ، وانظر : التعريفات للجرجاني ١٦٨/٢ .

وجريان اللسان بذكره والثناء عليه[1] .

وقال بعضهم : قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة[2] .

وقيل : هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة والقيام بالخدمة[3] .

وقال صاحب المنازل : " الشكر : اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم، ولهذا سمّى الله – تعالى – الإسلام والإيمان في القرآن شكراً "[4] .

وقيل : التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطاء[5] .

وقال الإمام النووي – رَحِمَهُ اللهُ – : " الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به "[6] .

وقيل : الثناء على المحسن بذكر إحسانه الذي هو طاعته، أو الثناء على المنعم ومحبته والعمل بطاعته[7] .

وقيل : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيلياً، أو ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة[8] . وقيل : الشكر معرفة العجز عن الشكر .

ويقال في هذا : الشكر على الشكر أتم من الشكر[9]، وذلك أن ترى

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٤٤ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٤٥ ، وعدة الصابرين ص ١٢٣ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٤٤ ، وعدة الصابرين ص ١٢٢ .

(٤) مدارج السالكين ٢/٢٤٧ .

(٥) انظر : عدة الصابرين ص ١٢٣ ، ومدارج السالكين ٢/٢٤٥ .

(٦) شرح صحيح مسلم ١٧/١٦٢ .

(٧) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٤٤ ، وطريق الهجرتين ١/٥٠٨ ، وعدة الصابرين ص ١٢٢ ، والتعريفات للجرجاني ٢/١٦٨ .

(٨) انظر : عدة الصابرين ص ١٢٢ ، ومدارج السالكين ٢/٢٤٤ .

(٩) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٤٤ .

شكرك بتوفيقه، وذلك التوفيق من أجلّ النعم، عليك أن تشكر على الشكر ثم تشكره على الشكر[1] .

وقال ابن القيم – رَحِمَهُ اللهُ – : وسألت شيخنا عن قوله : " غير مكفي، فقال : المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافيه بالجزاء أو بالثناء والله – عَزَّ وَجَلَّ – لايُمكن أحداً من العباد أن يكافيه على إنعامه فإن ذلك الشكر من نعمه أيضاً، أو نحواً من هذا الكلام "[2] .

ومن هذه التعاريف يُمكن أن نعرف الشكر بقولنا : هو : طاعة الله – تعالى – المتضمنة ذكر النعم والاعتراف والتحدث بها، وصرفها فيما يرضي الله، وحمده والثناء عليه – سبحانه – والعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الظاهرة والباطنة، مع الخضوع التام والاستكانة لله – تعالى – واجتناب ما نهى عنه .

حقيقـــة الشكر :

من تعريف الشكر في الشرع يعلم أن حقيقته هي طاعات الله، فمن لم يطع الله ورسوله لم يكن شاكراً فيعد مع الشاكرين .

قال ابن كثير – رَحِمَهُ اللهُ – في تفسير قول الله – تعالى – : ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾[3] : " ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[4] أي فليوحدوه

---

(١) انظر : عدة الصابرين ص ١٢٢ .

(٢) صيغ الحمد لابن القيم ١/٢٦ .

(٣) سورة قريش : الآيتان ١ ، ٢ .

(٤) سورة قريش : الآية ٣ .

بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً "[1] .

فحقيقة الشكر هي تقوى الله - تعالى - بالعمل بأوامره، واجتناب نواهيه .

وعن عبدالله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في قوله - تعالى - : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [2] قال : " أن يطاع فلايُعصى، وأن يشكر ولا يكفر، وأن يذكر ولا يُنسى "[3] .

وقال سفيان الثوري[4] : " حمد الله ذكر وشكر، وليس شيء ذكراً وشكراً غيره "[5] .

وقال بعضهم لما سئل عن أصل الشكر : " أصل الشكر رؤية المنة بالقلب، والمعرفة بأنه من الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحقيقة الشكر في الأصل والفرع أن تتقي الله خاصته خاصة "[6] .

وذكر عن بعض السلف أنه قال : " الشكر تقوى الله - عَزَّ وَجَلَّ - ألا ترى أنه يقول : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٥٣/٤ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١٠٢ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من طريقين (٩٢/٩) .

(٤) هـو : سفيان بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أبي بن عبدالله ... شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، المجتهد ، ولد سنة ٩٧ هـ ، ومات سنة ١٢٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ - ٢٧٩ ، وطبقات ابن سعد ٣٧١/٦ - ٣٧٤ .

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ١١٠/٤ .

(٦) شعب الإيمان ١٣٣/٤، والقائل : أبو بكر السمساطي .

﴿تَشْكُرُونَ﴾ [(١)]، فالمتقي في هذه الآية هو الشاكر لنعمة الله، وهذه الآية تدل على أن المتقي هو الشاكر، ومن لم يكن متقياً لم يكن شاكراً "[(٢)] .

قال ابن سعدي[(٣)] في تفسير الآية : " لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره "[(٤)] .

وقال عمر بن عبدالعزيز – رَحِمَهُ اللهُ – : " قيدوا نعم الله بالشكر لله – عَزَّ وَجَلَّ – وشكر الله ترك المعصية "[(٥)] .

قال ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ – : " وكلما استعمل العبد عقله وعمل بعلمه، وأخلص في عمله وصفا ضميره، وجال بفهمه في بصيرة العقل، وذكاء النفس، وفطنة الروح، وذهن القلب، وقوي يقينه، ونفى شكه، وضبط حواسّه بالآداب النبوية، وقام على خواطره، بالمراقبة وتحرى ترك الكذب في الأقوال والأفعال، وصار الصدق وطنه وذهب عنه الرياء والعجب، وأظهر الفقر والفاقة إلى معبوده، وتبرأ من حوله وقوته، ولزم الخدمة، وقام بحرمة الأدب وحفظ الحدود والاتباع، وهرب من الابتداع : زيد في معرفته، وقويت بصيرته، وكوشف بما غاب عن الأعيان، وصار من أهل الزيادة بحقيقة مادة الشكر الموجبة للمزيد "[(٦)] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢٣ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١٣٣/٤ .

(٣) هو : عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي ، الإمام المفسر الفقيه ، المشهور بعلمه وفضله ، تتلمذ عليه كثير من المشايخ مثل الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا – كان مولده في عام ١٣٠٧ هـ ، ووفاته في عام ١٣٧٦ هـ . انظر : مقدمة تفسيره بتحقيق د . عبدالرحمن اللويحق .

(٤) تفسير ابن سعدي ص ١٤٦ .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٣٠/٤ .

(٦) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥١٨/٨ .

قال الله – تعالى – : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [1] .

وكلما زاد العمل في مرضاة الله، وتحقيق عبوديته، بطاعة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كلما كان أدعى لزيادة شكر المنعم – سبحانه وتعالى[2] – : " أفلا أكون عبداً شكوراً " [3] .

وقال ابن القيم – رَحِمَهُ اللهُ – : " وجميع ما يباشره العبد في هذه الدار لايخرج عما ينفعه في الدنيا والآخرة، أو يضره في الدنيا والآخرة أو ينفعه في أحد الدارين ويضره في الأخرى، وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه في الآخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الإيمان، ففعل ما ينفعه هو الشكر، وترك ما يضره هو الصبر "[4] .

فحقيقة الشكر : العمل بالحق في نفسه، وتنفيذه في الناس كما قال الله – تعالى – : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ [5] [6] .

ومن حقيقة الشكر مخالفة أهل الكتاب والمشركين في عباداتهم وأفعالهم هذا من الشكر، كما في الحديث : " فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر "[7] .

---

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٧ .

(٢) انظر : فتح الباري لابن حجر ٧١/١ .

(٣) أخرجه البخاري عن المغيرة في مواضع منها ، في كتاب أبواب التهجد ، باب قيام النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ... ، ومسلم في كتاب صفة القيامة ، باب إكثار الأعمال ، والاجتهاد في العبادة .

(٤) عدة الصابرين ص ٨٩ .

(٥) سورة العصر : من الآية ٣ .

(٦) انظر : عدة الصابرين ص ٩٠ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ... وابن خزيمة في صحيحة ٢١٥/٣ ، وابن حبان في صحيحه ٢٥٤/٨ ، وغيرهم .

لأنّ الله – تعالى – أباح لنا السَّحُور إلى الصبح بعدما كان حراماً علينا أيضاً في بدء الإسلام، وحرمه عليهم بعد أن يناموا، أو مطلقاً ومخالفتنا إياهم تقع موقع الشكر لتلك النعمة[1] .

وكذلك صيام يوم العاشر من محرم إنَّما صامه الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شكراً لله – عَزَّ وَجَلَّ – في إظهاره موسى على فرعون، وحثّ أمته على ذلك، وأمرهم بمخالفة اليهود بصيام يوم قبله أو يوم بعده[2]، كما في صحيح مسلم[3] : " ... هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ... شكر لله – تعالى – فنحن نصومه ... " .

وشكر القوم : هو عملهم بطاعة الله، واستعانتهم بنعمه على محابه، قال – تعالى – : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾[4] .

وقال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما قيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أكون عبداً شكوراً "، وقد ذكرت طرفه قريباً .

فسمى الأعمال شكراً، وأخبر أن شكره قيامه بها ومحافظته عليها .

فحقيقة الشكر : هو الثناء على المنعم ومحبته والعمل بطاعته[5] .

وقوله : ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾[6]، يقول : وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه

---

(١) انظر : عون المعبود ٣٣٦/٦ .

(٢) انظر : شرح معاني الآثار للطحاوي ٧٥/٢ ، ٧٧ ، وعون المعبود ٧٩/٧ ، وفتح الباري ٢٤٧/٤

(٣) كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء .

(٤) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٥) انظر : طريق الهجرتين لابن القيم ٥٠٨/١ .

(٦) سورة الزمر : من الآية ٧ .

يرضى شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكره، وإنَّما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [1] بمعنى فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً[2] .

وقول الله – تعالى – : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [3] لربه على نعمه[4] .

وكل ما يفعله الله بالعبد من نعمة، وكل ما يخلقه الله فهو نعمة الله عليه، فكلما نظر إلى ما فعله ربه شكر، وإذا نظر إلى نفسه استغفر .

وأهم ما يكون به الشكر : الصلاة، والإكثار منها، قال الله – تعالى – : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [5] قيل : شكراً لذكري[6] .

وتعداد النعم من الشكر[7] : وأنزل الله – عزَّ وجلَّ – : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [8] قال : رب كيف أطيق شكرك

---

(١) سورة آل عمران : من الآية ١٧٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/١٩٨ .

(٣) سورة الفرقان : من الآية ٦٢ .

(٤) انظر : تفسير سورة الأعلى ضمن فتاوى ابن تيمية ١٦/١٨٨ .

(٥) سورة طه : من الآية ١٤ .

(٦) فتح الباري ٢/٧٢ .

(٧) انظر : عدة الصابرين ١/١١٧ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٤/١١٠ .

(٨) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

وأنت الذي تنعم عليّ ثم ترزقني على النعمة الشكر، ثم تزيدني نعمة بعد نعمة فالنعمة منك يارب والشكر منك، وكيف أطيق شكرك ؟ قال : الآن عرفتني يا داود حق معرفتي[١] .

وقال رجل لآخر : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل : ذنوب سترها الله – عَزَّ وَجَلَّ – فلايستطيع أن يعيرني بها أحد ومودة قذفها الله – عَزَّ وَجَلَّ – في قلوب العباد لم يبلغها عملي[٢] .

وقال الآخر لما قيل له : " كيف أصبحت ... ؟ قال : أصبحنا مغرقين في النعم مقصرين في الشكر، يتحبب إلينا ربنا – عَزَّ وَجَلَّ – وهو غني عنا، ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون "[٣] .

قال رجل لأبي حازم[٤] : ما شكر العينين يا أبا حازم ؟ قال : إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته .فقال : فما شكر الأذنين ؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً أخفيته .

قال : ما شكر اليدين ؟ قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما .

قال : ما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً .

قال : ما شكر الفرج ؟ قال : كما قال الله – تبارك وتعالى – :

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٤٣٢/٤ .

(٢) انظر : الشكر لابن أبي الدنيا ص ٢٤ تحقق زغلول .

(٣) انظر : الشكر لابن أبي الدنيا ص ٢٥ تحقيق زغلول .

(٤) هو : أبو حازم الأشجعي سلمان الكوفي ، مولى عزة صاحب أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – ، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز قريباً من سنة مائة للهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ٧/٥ – ٨ ، وطبقات ابن سعد ٢٩٤/٦ .

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ إلى قـــوله : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [١] .

قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن رأيت حياً غبطته ؛ استعملت بهما عمله،وإن رأيت ميتاً مقته، كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله -عَزَّ وَجَلَّ - .

وأمَّا من شكر بلسانه و لم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفـــه و لم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثـــلج والمطر "[٢] .

هذا هو مذهب السلف الصالح، وهم أهل السنة من المسلمين والمؤمنين وحقيقة الشكر عندهم .

أهل السنة :

والسنة في اللغة : الطريقة الحميدة أو المحمودة المستقيمة[٣] .

وفي الاصطلاح : طريقة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَـــيْهِ وَسَلَّمَ - التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات[٤]، في أصول الدين وفروعه، ومن ذلك إثبات الأسماء والصفات، خلافاً للمشبهة والمعطلة النفاة، وإثبات القدر، ونفي الجبر ؛ خلافاً للقدرية النفاة، وللقدرية الجبرية العصاة، وللشيعة والرافضة في مسائل الإمامة والتفضيل[٥] .

---

(١) سورة المؤمنون : من الآية ٧ .

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٥٣ بتحقيق زغلول .

(٣) انظر : لسان العرب ١٣/٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) انظر : كشف الكربة لابن رجب ص ١١ ، ١٢ .

(٥) انظر : غاية الأماني للآلوسي ١/٤٢٨ .

وسمي أهل السنة بذلك لاتباعهم سنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ[1] - وتميزوا بذلك بعد الافتراق في الأمة وظهور البدع، وأولها بدعة القدر، وقيل : بدع الخوارج والشيعة .

أركان الشكر وأنواعه :

ومِمَّا سبق في تعريف الشكر وبيان حقيقته يتبين أن للشكر أركاناً يقوم عليها، ولايسمّى شكراً إلاَّ بها، وإذا لم تتحقق هذه الأركان أو أحدها فلا شكر للعبد .

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - : " وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان، لايكون شكراً إلاَّ بمجموعها : أحدها : اعتراف بنعمة الله عليه، والثاني : الثناء بها، والثالث : الاستعانة بها على مرضاته "[2] .

وقال أيضاً : " قيد النعم الشكر وهو مبني على ثلاثة أركان : الاعتراف بها، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإن فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها "[3] .

وقال بعضهم[4] : " لايكمل الحمد إلاَّ بخلال ثلاث : محبة المنعم بالقلب، وابتغاء مرضاته بالنية، وقضاء حقه بالسعي " .

فالشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي

(١) انظر : المنتقى لابن تيمية ص ١٨٩ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٢٢ .

(٣) الوابل الصيب ص ١١ .

(٤) هو أبو بكر الوراق كما في شعب الإيمان للبيهقي ٤/١٣٥ .

أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدمت منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحدِّه فكلامه إليها يرجع وعليها يدور[١] .

وهذا يعني أن خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمه هو الركن الأول من هذه الأركان الثلاثة، والتحدث بها والثناء عليها هو الركن الثاني واستعمالها في مرضاة الله هو الركن الثالث. ثم إنه يتعلق بالقلب، واللسان، والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور، وكفها عن معاصيه .

قال الشاعر :

أفادتكم النعماء عندي ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا[٢]

فاليد للطاعة، واللسان للثناء، والضمير للحب والتعظيم والإقرار[٣] .

والشكر يكون بالقلب واللسان، وهو الحمد، ويكون بالعمل[٤]، كما قال الله – تعالى – : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾[٥] .

وفي معنى حديث : " الحمد لله الذي أطعم وسقى وجعله له مخرجاً "[٦]، قال

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٤٤ الذي فيه هذا النص .

(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١/٣٧٢ ، وابن القيم في طريق الهجرتين ١/٥٠٨ ، ولم ينسباه لأحد ، وكذلك الزمخشري في الفائق وصاحب المستطرف (١/٥٠٥) ، بقوله : قال الشاعر ، والبيت في : نفح الطيب هكذا :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... ضميري ويتلوه يد ولسان

(٣) انظر : طريق الهجرتين ١/٥٠٨ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/٢٣٠ .

(٥) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب في المنديل ٣/٣٦٦ ، وابن حبان في صحيحه في ذكر ما يستحب للمرء عند فراغه من الطعام أن يحمد الله على ما سوغ الطعام من الطريق وجعل لنفاذه ١٢/٢٤ ، والنسائي في الكبرى في كتاب الدعاء بعد الأكل ، باب القول بعد الشرب ٤/٢٠١ ، باب ما يقول إذا رفعت المائدة ٦/٧٩ ، والطبراني في الكبير ٤/١٨٢ .

الطيبـــي[1] – رَحِمَهُ اللهُ – : " ذكر هاهنا نعماً أربعاً : الطعام والسقي، والتسويغ وهو تسهيل الدخول في الحلق، فإنه خلق الأسنان للمضغ، والريق للبلع، وجعل المعدة مقسماً للطعام لها مخارج، فالصالح منه ينبعث إلى الكبد وغيره يندفع من طريق الأمعاء، كل ذلك فضل من الله الكريم، ونعمة يجب القيام بمواجبها من الشكر بالجنان والبث باللسان والعمل بالأركان "[2] .

قال فضيل بن عياض – رَحِمَهُ اللهُ[3] – : " كان يقال من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله – تعالى – : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4] " .

قال السري[5] – رَحِمَهُ اللهُ – : " الشكر على ثلاثة أوجه : شكر اللسان، وشكر البدن، وشكر القلب، فشكر القلب أن تعلم أن النعم كلها من الله – عَزَّ وَجَلَّ – وشكر البدن أن لا تستعمل جارحة من جوارحك إلاّ في طاعته بعد أن عافاك الله، وشكر اللسان دوام الحمد عليه "[6] .

---

(١) قـــال الذهبي عنه : " الشيخ الصدوق أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن نيخاب الطيبـــي ، حدث ببغداد في ســـنة تســـع وأربعـــين وثلاثمائة ... " سير أعلام النبلاء ١٥/٥٣٠ ، وانظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٤/٣٥ .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٠/٢٣٦ .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٤/١٢٧ .

(٤) سورة إبراهيم : من الآية ٧ .

(٥) هـــو : سليمان بن داود بن الأمير داود بن علي بن البحر عبدالله بن العباس الشريف ، الإمام البارع الحافز السري أبو أيوب الهاشمي العباسي ، من كبار الأئمة ، حدث عنه الإمام أحمد بن حنبل، وروي عنه أنه قال : "كان يصلح للخلافة – رَحِمَهُ اللهُ – " . سير أعلام النبلاء ١٠/٦٢٦ . وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/٣٤٣ ، وتاريخ بغداد ٩/٣١ .

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٤/١٣٥ .

فانظر كيف أن أنواع الشكر هي أركانه التي يقوم عليها، وإليك نبذة مختصرة مفيدة عن هذه الأركان أو الأنواع .

الركن الأول : الاعتراف بالنعمة :

الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها و لم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها .

ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها و لم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه ؛ لم يشكرها أيضاً .

ومن عرفها وعرف المنعم بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها[1] .

فلابد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له كما في صحيح البخاري، عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلاَّ أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ... "[2] .

فرأس الشكر الاعتراف بالنعمة وأنها من المنعم وحده، فإذا أضيفت إلى غيره كان جحداً لها، فإذا قال: أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة التي حصلت بها ذلك، فقد أضافها إلى نفسه، وأعجب بها كما أضافها إلى قدرته ... و لم يعلم أن ذلك ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر ...

---

(١) انظر : طريق الهجرتين لابن القيم ١/١٦٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار ... .

والله – سبحانه – هو المنعم من كل الوجوه على الحقيقة، فأسبابها من نعم الله – عَزَّ وَجَلَّ – على العبد، وإن حصلت بكسبه فكسبه من نعمه، فكل نعمة فمن الله وحده حتى الشكر فإنه نعمة وهي منه – سبحانه – فلا يطيق أحد أن يشكره إلاّ بنعمته، وشكره نعمة منه عليه(١) .

والمقصود أن حال الشاكر ضده حال القائل : " إنّما أوتيته على علم " كما في قول الله – تعالى – : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

فقوله : " بل هي فتنة " أي محنة واختبار، والمعنى أنه لم يؤت هذا لكرامته علينا بل أوتيه امتحاناً منا وابتلاءً واختباراً هل يشكر فيه أم يكفر ؟

وهذا يوافق قول الله – تعالى – : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾(٣) .

فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آتاه ذلك ولكن ظن أنه لكرامته عليه .

---

(١) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٩٥ – ٩٦ ، دار الوليد بجدة .

(٢) سورة الزمر : الآيات ٤٩ – ٥٢ .

(٣) سورة الفجر : الآية ١٥ .

فالآية تتضمن ذم من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه وذلك محض الكفر بها .

قال ابن كثير – رَحِمَهُ اللهُ – : " يقول – تبارك تعالى – مخبراً عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع إلى الله – عَزَّ وَجَلَّ –، وينسب إليه ويدعوه، وإذا خوله نعمة منه بغى وطغى، وقال : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (١) أي : لما يعلم الله من استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا "(٢) .

عن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنه سمع رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول : " إنّ ثلاثة من بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس . قال : فمسحه فذهب عنه قذره فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال :فأي المال أحب إليك؟ قال : الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأعطي ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها .

قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ . قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه، فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً. فقال : أي المال أحب إليك ؟ . قال : البقر . فأعطي بقرة حاملاً قال : بارك الله لك فيها .

فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك . قال : أن يرد الله إليّ بصري

---

(١) سورة القصص : من الآية ٧٨ ، وسورة الزمر : من الآية ٤٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٧ .

فأبصـــر به الناس . قال : فمسحه فرد الله إليه بصره، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم . فأعطي شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم .

قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلاَّ بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله . فقال : إنَّما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال : إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ على هذا فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلاَّ بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال : أمسك مالك فإنَّما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك "(١) .

وهذا حديث عظيم وفيه معتبر فإن الأوّلَيْن جحدا نعمة الله فما أقرّا بنعمته ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله، فحلّ عليهما السخط، وأمَّا الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدّى حق الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق ٢٢٧٢/٤ ، وهذا لفظه .

فيها، فاستحق الرضى من الله، بقيامه بشكر النعمة ؛ لما أتى بأركان الشكر الثلاثة، التي لا يقوم الشكر إلاّ بها، وهي الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب .

والاعتراف بنعمة الله يدل على أن الله بيده الخير كله، وأن النعمة منه وحده فهو المنعم - سبحانه وتعالى - فتضاف النعم إليه لا إلى غيره، بل هذ منسوبة إليه فهو المنعم على الإطلاق كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

فهو المنعم بجميع النعم في الدنيا والآخرة وحده لا شريك له، والإقرار بذلك ظاهراً وباطناً ركن من أركان الشكر، لايكون إلاّ به، وضد ذلك من إنكار أو جحد أو غيرها مِمَّا يضاد الاعتراف والإقرار فهو كفر بها .

ونسبة النعم إلى غير الله شرك، قال الله - تعالى - : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2] .

وحدث الحسن - رَحِمَهُ اللهُ - فقال : " قال داود - عَلَيْهِ السَّلاَم - : إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار ما قضيت - حق - نعمة من نعمك "[3] .

---

(١) سورة النحل : من الآية ٥٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ٨٣ .

(٣) أخـــرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٢/٦ ، ٧٢/٧ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٠ بتحقيق : طاحون ، وابن أبي عاصم في كتاب الزهد ٦٩/٢ ، وهذا من الآثار الإسرائيلية .

وكان بعض العلماء يقول إذ تلا : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [1] قال : " سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلاّ المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه، فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكراً، كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيماناً، علماً منه أن العباد لا يتجاوزون ذلك "[2] .

والله – سبحانه وتعالى – قال لموسى – عَلَيْهِ السَّلَام – : ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [3] وهي تتناول أيام نعمه، وأيام نقمه، ليشكروا ويعتبروا، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [4] .

فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر، وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور – وإن كرهته النفس – وعن المحظور – وإن أحبته النفس – لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة[5] .

والشاكر قد يشكر الله على نعمه وإن لم يخف، والتذكر قد يقتضي الخشية كما يقتضي الخوف من العقاب، وطلب الثواب، فيعمل للمستقبل، والشكر على النعم الماضية .

وتذكر النعم السابقة سبب للشكر، بل وتذكر للسب والمسبب[6] .

---

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٤ ، وسورة النحل : من الآية ١٨ .

(٢) انظر : الشكر لابن أبي الدنيا ص ٧٦ ، بتحقيق زغلول .

(٣) سورة إبراهيم : من الآية ٥ .

(٤) سورة لقمان : من الآية ٣١ .

(٥) انظر : تفسير سورة الأعلى ضمن فتاوى ابن تيمية ١٦/١٩٤ .

(٦) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/١٨٦ .

والله - سبحانه وتعالى - : ﴿ جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾ (١) فيتذكر الآيات المثبتة للعلم والإيمان، فإذا عرف آلاء الله شكره على آلائه، وكلاهما متلازمان .

فالآيات والآلاء متلازمان، ما كان من الآلاء فهو من الآيات وما كان من الآيات فهو من الآلاء .

وكذلك الشكر والتذكر متلازمان ؛ فإن الشاكر إنَّما يشكر بحمده وطاعته، وفعل ما أمر به، وذلك إنَّما يكون بتذكر ما تدل عليه آياته من أسمائه وممادحه، ومن أمره ونهيه، فيثني عليه بالخير ويطاع في الأمر . هذا هو الشكر ولابد فيهما من التذكر .

والمتذكر إذا تذكر آياته عرف ما فيها من النعمة والإحسان، فآياته تعم المخلوقات كلها وهي خير ونعم وإحسان(٢) .

والتذكر قد يكون تذكر ذنوبه وعقاب ربه، وقد يدخل فيه تذكر آلائه ونعمه، فإن ذلك يدعو إلى الشكر، قال - تعالى - : ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ في غير موضع(٣) .

فقد أمر بذكر نعمه، فالمتذكر يتذكر نعم ربه ويتذكر ذنوبه، وأيضاً فهو ذكر الشكور ؛ لأنه مقصود لنفسه، فإن الشكر ثابت في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٦٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/٨ .

(٣) في سورة المائدة : من الآية ١١ ، ٢٠ ، وسورة إبراهيم : من الآية ٦ ، وسورة الأحزاب ، ٩ ، وسورة فاطر : من الآية ٣ .

وذكر التذكر ؛ لأنه أصل للاستغفار، والشكر، وغير ذلك، فذكر المبدأ وذكر النهاية، وهذا المعنى يجمع ما قيل، والله - سبحانه - أعلم .

ولكن أول ما يجب على الشاكر أن يذكر نعمة الله عليه، للآية السابقة، والإذكار بالنعمة لايكون إلاَّ لاستدعاء الشكر واستقصار المنعم عليه فيه، ثم نص على الأمر بالشكر، بعد الذكر فقال : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [(١)]، وقال : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [(٢)] إلى سائر ما ورد في القرآن في هذا المعنى، فإذا حصلت النعمة مذكورة فالشكر لها يختلف، فمنها اعتقاد أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد أنعم فأكثر وأجزل، وأن كل ما بنا من نعمة فمنه لا من الكواكب، وأن كل ذلك فضل منه وامتنان، وأنا وإن اجتهدنا لم نؤد شكرها ولم نقدرها حق قدرها[(٣)] .

وقال الحسن- رَحِمَهُ اللهُ - :" أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكرها "[(٤)] .

وقال عمر بن عبدالعزيز : " ذكر النعم : شكرها "[(٥)]،وفي لفظ : " تذاكروا نعم الله، فإن ذكرها شكرها "[(٦)] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٢) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٣) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٤/٨٧ - ٨٨ .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢١ ، بتحقيق زغلول ، وابن المبارك في الزهد ص ٥٠٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١٧٤ ، وهناد بن السري في الزهد ٢/٤٠٠ .

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٥٠٣ .

وقال أحدهم[١] :

سأشكر لا إنـــي أجازيك منعماً بشكري ولكن كي يقال له شكر

وأذكر أيـــــامي لديك وطيبها وآخر ما يبقى على الذاكر الذكر[٢]

وقال يونس بن عبيد[٣] : " قال رجل لأبي تميمة كيف أصبحت قال : أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل ذنوب سترها الله فلايستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لايبلغها عملي "[٤] .

ومِمَّا يتعلق بالاعتـــراف بالقـــلب قول النبي- صَلَّى اللهُ عَلَـــيْهِ وَسَلَّـــمَ - : " من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه، كتبه الله شاكراً صابراً "[٥] .

وكذلك قوله - صَلَّى اللهُ عَلَـــيْهِ وَسَلَّمَ - : " لا تنظروا إلى من فوقكم، وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله "[٦] .

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - : " فإذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً، وانتفى عنه

---

(١) القـــائل هو : أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري من كبار مشايخ الصوفية ، كان عظيم القدر في طائفته ويكرمه الجنيد الصوفي المشهور . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٤/٤٣٠ - ٤٣٢ .

(٢) تاريخ بغداد ٤/٤٣٢ .

(٣) هو : أبو عبدالله ، يونس بن عبيد بن دينار ، العبدي ، مولاهم البصري ، الإمام القدوة ، من صغار الـــتابعين وفضلائهم رأى أنس بن مالك حارب أهل القدر ، قال عنه ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديـــث ، ووثقه أحمد وابن معين ، توفي سنة ١٣٩ أو ١٤٠ هـــ . انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ٦/٢٨٨ - ٢٩٦ .

(٤) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٠١ .

(٥) أخـــرجه الـــترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - باب ٥٨ منه ٤/٦٦٥ .

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/٤٩٠ ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٥ .

كل ريب وشك، وعوفي من أمراضه القاتلة، وامتلأ شكراً لله، وذكراً له ومحبة وخوفاً فحيي عن بينة "(١) .

قال الله – تعالى – : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٢) .

قال سيد قطب – رَحِمَهُ اللهُ – : " لقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان – عَلَيْهِ السَّلاَم – وراعه أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو المعجز واستشعر أن النعمة – على هذا النحو – ابتلاء ضخم مخيف، يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه ؛ ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه، والله غني عن شكر الشاكرين "(٣) .

وقال ابن سعدي: " ليختبرني بذلك، فلم يغتر – عَلَيْهِ السَّلاَم – بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن الشكر لا ينتفع الله به وإنَّما يرجع نفعه على صاحبه، فقال : ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر إلاَّ أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها "(٤) .

---

(١) مفتاح دار السعادة ١٥٤/١ .

(٢) سورة النمل : من الآية ٤٠ .

(٣) في ظلال القرآن ٢٦٤٢/٥ .

(٤) تفسير ابن سعدي ص ٦٠٥ .

ويزيد البيان في قول الله – تعالى – : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ [1] (رب) بهذا النداء القريب المباشر المتصل (أوزعني) اجمعني كلي اجمع جوارحي ومشاعري وجناني ولساني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجهاتي، اجمعني كلي، اجمع طاقتي كلها، أولها على آخرها، وآخرها على أولها، وهو المدلول اللغوي لكلمة (أوزعني) لتكون كلها في شكل نعمتك علي، وعلى والدي .

وهذا التعبير يشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان – عَلَيْهِ السَّلَامَ – وفي تلك اللحظة ويصور نوع تأثر وقوة توجهه، وارتعاشة وجدانه، وهو يستشعر فضل الله الجزيل، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه، ويحس مس النعمة والرحمة في ارتياع وابتهال، وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة من الله .

وفي الآية دعوة القلب الشاعر بنعمة ربه، المستعظم المستكثر لهذه النعمة التي تغمره وتغمر والديه قبله، فهي قديمة العهد به، المستقل المستصغر لجهده في شكرها، يدعو ربه أن يعينه بأن يجمعه كله لينهض بواجب الشكر، فلا يفرق طاقته ولا اهتمامه في مشاغل أخرى غير هذا الواجب العظيم .

وفي قول الله – تعالى – : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [2]، فهي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيعة، تتجه إلى الله تطلب رضاه، ولا تبغي بها جزاءً من الخلق ولا شكراً، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء، كما تتقي بها يوماً عبوساً شديد العبوس تتوقعه وتخشاه،

---

(١) سورة النمل : من الآية ١٩ .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٩ .

وتتقيه بهذا الوفاء[١]، وقد دلّهم رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عليه وهو قول : اتقوا النَّار ولو بشقّ تمرة[٢] .

وفي قول الله - تعالى - : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٣] تعبير عن الهدى بالشكر ؛ لأنّ الشكر أقرب خاطر يرد على قلب المهتدي، بعد إذ يعلم أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فأراد ربه له أن يكون شيئاً مذكوراً ووهب له السمع والبصر، وزوده بالقدرة على المعرفة . ثم هداه السبيل وتركه يختار ... الشكر هو الخاطر الأول الذي يرد على القلب المؤمن في هذه المناسبة، فإذا لم يشكر فهو الكفور .. بهذه الصيغة الموغلة في الدلالة على الكفران[٤] .

إنّ الإنعام بالهداية يستوجب شكر المنعم، وأصل الشكر ذكر المنعم والعمل بطاعته، وكان من شكره إبراز الضمير المتضمن لذكره - تعالى - الذي هو أساس الشكر، وكان في قوله : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ من ذكره وإضافة النعمة إليه ما ليس في ذكر المنعم عليهم لو قاله، فضمن هذا اللفظ الأصلين وهما : الشكر والذكر المذكوران في قوله[٥] : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٦] .

(١) انظر : في ظلال القرآن ٦/٣٧٨١ - ٣٧٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب حق الجوار في قرب الأبواب ، وفي مواضع أخرى .

(٣) سورة الإنسان : الآية ٣ .

(٤) انظر : في ظلال القرآن ٦/٣٧٨٠ .

(٥) انظر : بدائع الفوائد ٢/٢٥٧ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

وحين يستيقظ ضمير الإنسان، ويتطلع إلى الكون من حوله، فإذا هو مسخر له، إمَّا مباشرة، وإمَّا بموافقة ناموسه لحياة البشر وحوائجهم، ويتأمل فيما حوله فإذا هو صديق له برحمة الله، معين برحمة الله، معين بقدرة الله، ذلول بتسخير الله ... حين يستيقظ ضمير الإنسان فيتطلع ويتأمل ويتدبر، لابد يرتجف ويخشع ويسجد ويشكر، ويتطلع دائماً إلى ربه المنعم، حين يكون في الشدة ليبدله منها يسراً، وحين يكون في الرخاء ليحفظ عليه النعماء[1] .

الركن الثاني : إظهار النعمة والثناء عليها والتحدث بها من غير مباهاة أو إعجاب بنفسه أو غير ذلك شكر[2] :

كما في الحديث : " كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة، إن الله - تعالى - يحب أن يرى أثر نعمته على عبده "[3] .

فإذا أظهر العبد نعمة الله عليه، فلا يكون ذلك على سبيل الفخر بما آتاه الله على غيره، ولايتبذخ، ولايتصلف ولايزهو ولايتكبر[4] ؛ لأن الله ﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[5] .

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال : " أتيت رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ٢١٠٨/٤ .

(٢) انظر : فتح الباري ٢٩١/١١ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٢٩١/٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٣٥/٤ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، وموضع الشاهد منه في الترمذي في كتاب الأدب ، باب ماجاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وقال : " هذا حديث حسن " ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٧ - ٢٨ .

(٤) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٨٨/٤ .

(٥) سورة لقمان : من الآية ١٨ ، وسورة الحديد : من الآية ٢٣ .

وَسَلَّمَ - وأنا قشف الهيئة فقال : هل لك مال ؟ قلتُ : نعم . قال : من أي المال ؟ قلتُ : من كل المال قد آتاني الله - عَزَّ وَجَلَّ - : من الإبل والخيل والرقيق والغنم، قال : فإذا آتاك الله - عَزَّ وَجَلَّ - مالاً فلير عليك "(1) .

وفي بعض المراسيل : " إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه "(2) .

ومن إظهار النعمة تعريف العبد لما عنده يستفاد منه أو نحو ذلك فإن ذلك شكر(3) .

ولعل من ذلك تعداد النعم كما في قول الله - تعالى - : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(4) .

يعدد الله - تعالى - نعمه على خلقه بأن خلق لهم السماوات سقفاً محفوظاً والأرض فراشاً ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾(5) ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٢/٢٣٤ ، والحاكم في المستدرك ١/٢٤ ، ٤/١٨١ ، وقال : " هذا حديث صحيح و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي في التلخيص ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٨ ، بتحقيق زغلول .

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٨ ، بتحقيق زغلول .

(3) انظر : فتح الباري ١١/٢٩١ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٣/٢٩١ .

(4) سورة إبراهيم : الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

(5) سورة طه : من الآية ٥٣ .

والمنافع، وسخر لهم الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله - تعالى - وسخر لهم البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (1) قال بعض السلف من كل ما سألتموه وما لم تسألوه .

وقوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (2) يخبر - تعالى - عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلاً عن القيام بشكرها، كما قال طلق بن حبيب - رَحِمَهُ اللهُ -: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين(3) .

وفي الحديث الصحيح : " الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا "(4) .

وعن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز قال : " ما قلب عمر بن عبدالعزيز بصره إلى نعمة أنعم الله - عَزَّ وَجَلَّ - بها عليه إلاّ قال : اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفراً، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها "(5) .

وهذا ثناء على الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحمد له، وإظهار لما في القلب من حقوق هذه النعم باللسان، والجمع فيها بين الاعتقاد والاعتراف بها .

---

(1) سورة إبراهيم : من الآية ٣٤ .

(2) سورة إبراهيم : من الآية ٣٤ ، وسورة النحل : من الآية ١٨ .

(3) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٥٤٠ .

(4) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه .

(5) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٣٢ ، بتحقيق زغلول .

وأيضاً في ذلك إشفاق من العبد في عامة أحواله من زوال نعم الله - تعالى - عنه، فيجب أن يكون وجلاً من مفارقتها إياه، مستعيذاً بالله - تعالى - من ذلك، سائلاً إياه متضرعاً إليه أن يديمها له ولا يزيلها عنه .

وقيل :"كان علي بن الحسين - رَحِمَهُ اللهُ - بمنى، فظهر من دعائه أن قال : كم من نعمة أنعمتها عليّ قلّ لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمته فلم يحرمني، ويا من قلّ صبري عند بلائه فلم يخذلني، ويا من رآني على الذنوب العظام فلم يفضحني و لم يهتك ستري، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي، ويا ذا النعم التي لا تحول ولا تزول، صل على محمد وعلى آله محمد واغفر لنا وارحمنا "[1] .

وممَّا أُنشد :

إلهي لاتفتنا منـــــك رحمة   وعافية وتوفيـــــق وعصمة
فما زلنا نعـــرف منك خيراً   ويحسد حاســـد فيطيل رغمة
وكم أذنبت من ذنب عظيم   فلم تفضـــح و لم تعجل بنقمة
وكيف بشكر ذي نعم إذا ما   شكرت له فشكري منه نعمة[2]

وفي الحديث: "من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مِمَّا ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فإذا قال ذلك شكر تلك النعمة"[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٤ ، بتحقيق زغلول .

(٢) فضيلة الشكر للخرائطي ص ٤٧ ، ولم ينسبه لأحد .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٤/٢ ، وفي الأوسط ٧٨/٥ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٦٣ بتحقيق : بدر البدر ، والطبراني في الدعاء ص ٢٥٤ من طريقين عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٨/١٠ : " رواه الترمذي باختصار ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه ، وإسناده حسن " .

قال ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر : " وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوى عنه من شهوات الدنيا، كما يحمده على ما أعطاه أن يقع ما أعطاه، والحساب يأتي عليه إلى ما عافاه الله، فلم يبتله به فيشغل قلبه، وتتعب جوارحه، فيشكر الله على سكون قلبه وجمع همه "[1] .

ومِمَّا ورد في التحدث بنعمة الله وإظهارها : " التحدث بالنعم شكر "، وفي لفظ : " التحدث بنعم الله شكر وتركها كفر "[2] .

ولفظه عند ابن أبي الدنيا: "التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله - عَزَّ وَجَلَّ-، والجماعة بركة، والفرقة عذاب"[3].

وفي زوائد عبدالله على المسند : " والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب "[4] .

فالذكر باللسان رأس الشكر، فما شكر الله - تعالى - من لم يذكره[5] .

وعن عبدالله بن سلام أن موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قال : يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك، قال : " لا يزال لسانك رطباً من ذكري "[6] .

وهذا يؤيده قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لا يزال لسانك رطباً

(١) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٤٩ ، بتحقيق زغلول .

(٢) أخرجه الشهاب في مسنده ٦١/١ .

(٣) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٣١ ، بتحقيق زغلول .

(٤) مسند الإمام أحمد ٢٧٨/٤ ، وقال ابن كثير : " إسناده ضعيف " . تفسير ابن كثير ٥٢٤/٤ .

(٥) انظر : الوابل الصيب لابن القيم ص ٩٥ .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٣ - ٢٤ ، بتحقيق زغلول .

من ذكر الله "[1] .

وفي جامع الأزدي عن معمر عن قتادة : " من شكر النعمة إفشاؤها " قال معمر : قال الحسن : " لا أعلمه إلاّ رفعه "[2] .

قال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللهُ - : " كان يقال : من شكر النعمة أن يحدث بها "[3] .

قال الخرائطي : أنشدني محرز بن الفضل :

علامة شكر المرء إعلان شكره ومن شكر المعروف منه فما كفر[4]

وهذا ما يدل عليه قوله - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[5] أي : وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي : " واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها، وأتمها علينا "[6] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ماجاء في فضل الذكر ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ١٢٤٦/٢ ، والبيهقي في السنن في كتاب الجنائز ، باب طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ٣٧١/٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٨/٦ ، ٥٩ ، ١٧٠/٧ ، والضياء المقدسي في المختارة ٩ /٤٤ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، والحاكم في المستدرك ٤٩٥/١ ، وقال : " هذا حديث صحيح ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه ٩٦/٣ ، والطبراني في الدعاء ص ٥٢٠ .

(٢) جامع الأزدي ٤٢٥/٢ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢٧/٤ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٩ ، بتحقيق زغلول .

(٤) فضيلة الشكر ص ٦٣ .

(٥) سورة الضحى : الآية ١١ .

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب التشهد ٢٥٤/١ ، وابن حبان في صحيحه ٢٧٧/٣ ذكر الأمر للمسلم أن يسأل الله ربه ... والحاكم في المستدرك ٢٦٥/١ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وله شاهد من حديث ابن جريج عن جامع " ووافقه الذهبي والطبراني في المعجم الكبير ١٩١/١٠ ، وفي الدعاء ص ٤٢٢ .

و " كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها "[١] .

والقرآن أعظم ما أنعم الله به عليه، فأمره أن يقرئه، ويعلمه، وقيل : بلِّغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي أتاك، وهي أجل النعم .

وقيل : شكر هذه النعمة التي ذكرت في هذه السورة .

والتحقيق أن النعم تعم هذا كله، فأمر أن لا ينهر سائل المعروف والعلم، وأن يحدث بنعم الله عليه في الدين والدنيا[٢] .

ففي الحديث : " من قال حين يصبح وحين يمسي، اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، إلاَّ أدّى شكر ذلك اليوم "[٣] .

ومن دعاء النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك "[٤] .

وعن أبي هريرة قال : " دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده – أو قال يديه – قال: الحمد لله الذي يطعم ولايطعم، من علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بالإحسان أبلانا .الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفوراً، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من

---

(١) تفسير الطبري ٢٣٤/٣٠ .

(٢) انظر : التبيان في أقسام القرآن ٤٧/١ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ ، ٣١٠/٥ ، وابن حبان في صحيحه ١٤٣/٣ ، والنسائي في الكبرى ٥/٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٨٩/٤ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب أكثر أهل الجنَّة الفقراء ... .

العري، وهدى من الضلالة، وبصر من العمي، وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين "(١) .

وإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلاَم - حين يذكر نعم الله عليه في مواضع من القرآن يلهج لسانه بالحمد والشكر، شأن العبد الصالح يذكر فيشكر كما في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ .(٢)

وهبة الذرية على الكبر أوقع في النفس، فالذرية امتداد، وما أجل الإنعام به عند شعور الفرد بقرب النهاية، وحاجته النفسية الفطرية إلى الاقتداء، وإن إبراهيم ليحمد الله ويطمع في رحمته : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ ويعقب على الشكر بدعاء الله أن يجعله مديماً للشكر . الشكر بالعبادة والطاعة فيعلن بهذا تصميمه على العبادة وخوفه أن يعوقه عنها عائق، أو يصرفه عنها صارف، ويستعين الله على إنفاذ عزيمته وقبول دعائه(٣) ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾(٤) .

وسليمان - عَلَيْهِ السَّلاَم - لما جرى له من الملك ما جرى له، وقالت النملـــة :

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٨٢/٦ ، ما يقول إذا غسل يديه ، والحاكم في المستدرك ٥٤٦/١ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ، وابن حبان في صحيحه ١٢/١٢ في ذكـــر ما يحمد العبد ربه - جلّ وعلا - بعد غسله يده من الغمر من طعام أكله ، والطبراني في الدعاء ص ٢٨٠ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ١٧ ، بتحقيق طاحون .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٩ .

(٣) انظر : في ظلال القرآن ٢١١٠/٤ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤٠ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ .

قال ابن سعدي: "فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد، فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه "(١) .

وكان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا شرب الماء، قال : " الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا "(٢).

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا خرج من الغائط قال : " غفرانك "(٣) .

قال الصنعاني: "وقيل : معناه التوبة من تقصيره في شكر نعمته التي أنعم بها عليه فأطعمه ثم هضمه، ثم سهل خروج الأذى منه، فرأى شكره قاصراً

---

(١) تفسير ابن سعدي ص ٦٠٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٣٣ ، بتحقيق : زغلول ، وهو مروي عن الحسن البصري ، والطبراني في الدعاء ص ٢٨٠ ، وذكره ابن كثير في التفسير ٢٩٧/٤ عن ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في باب القول عند الخروج من المتوضأ من كتاب الوضوء ٤٨/١ وصححه ، وابن حبان في صحيحه ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله المغفرة عند خروجه من الخلاء ٢٩١/٤ ، والنسائي في الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ٣٤/٦ ، وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء ، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ١١٠/١ ، وصححه الألباني، والحاكم في المستدرك ١٥٨/١ ، وصححه ، وأحمد في المسند ١٥٥/٦ ، والطبراني في الدعاء ، باب القول عند الخروج من الخلاء ص ١٣٦ ، وغيرهم .

عن بلوغ حق هذه النعمة ؛ ففرغ إلى الاستغفار منه "[1] .

وكان الحسن البصري إذا جلس مجلساً يقول : " اللهم لك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال، بسطت رزقنا وأظهرت أمتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألتنا ربنا أعطيتنا فلك الحمد كثيراً كما تنعم كثيراً، أعطيت خيراً كثيراً، وصرفت شراً كبيراً، فلوجهك الجليل الباقي الدائم الحمد، الحمد لله رب العالمين "[2] .

فتعداد النعم من الشكر[3] .

جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكرون النعم فجعل سفيان يقول : " أنعم الله علينا في كذا، أنعم الله علينا في كذا، فعل بنا كذا، فعل بنا كذا "[4] .

ومن الشكر التكبير الذي هو جزء لشكر نعمة الهداية إلى الإسلام، كما قال الله – تعالى – : ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[5] .

قال ابن حجر : " وأمّا التكبير فلأنه ذكر مأثور عند كل أمر مهول، وعند كل سرور شكراً لله – تعالى – وتبرئة له من كل ما نسب إليه أعداؤه، ولاسيما اليهود قبحهم الله – تعالى – "[6] .

---

(١) سبل السلام ١/٨٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٦٤ ، بتحقيق زغلول .

(٣) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٤/١١٠ .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/١١٠ ، وابن أبي الدنيا في الشكر ص ٥٠ ، بتحقيق زغلول .

(٥) سورة البقرة : من الآية ١٨٥ .

(٦) فتح الباري لابن حجر ٢/٤٣٨ .

وقد قيل في الشكر باللسان :

إذا كان شكري بنعمة الله نعمة علي له فـــي مثلها يجب الشكر
وكيف وقوع الشكر إلاّ بفضله وإن طالت الأيام واتصـــل العمر
إذا مسّ باليسر أعـــم سرورها وإن مسّ بالعـــزاء أتعبها الأجر
وما منهما إلاّ له فيـــه منة تضيف بها الأوهام والبر والبحر[(١)]

الركن الثالث : استعمالها في مرضاة الله :

سبق أن ذكرنا بأن تحقق الشكر من العبد ليس بالاعتراف والإقرار بنعمة الله فحسب، ولا بالثناء باللسان على المنعم فحسب ولكن بهما وباستعمالها في مرضاة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وحقيقة ذلك هو الفعل والترك .

والفعل : هو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر، والترك : هو الصبر عن المعصية، والدين كله في هذين الشيئين، فعل المأمور، وترك المحظور .

عن كعب قال : " ما أنعم الله - عَزَّ وَجَلَّ - على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله - عَزَّ وَجَلَّ - وتواضع بها لله إلاّ أعطاه نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع إلاّ منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النّار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه "[(٢)] .

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٤/١٠٠ ، وفضيلة الشكر للخرائطي ص ٤٧ ، ومختصر شعب الإيمان للقزويني ٢/٦٧ ، ٦٨ ، والشكر لابن أبي الدنيا ص ٣٦ ، بتحقيق زغلول .

(٢) أخــرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٨٧ ، بتحقيق طاحون ، وفي التواضع والخمول ص ١٢٤ ، بتحقيق عطا .

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[1] : " الشاكر يأخذ بحزم الحمد وأصله وفرعه وينظر في نعمه من الله في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه، وغير ذلك ليس من هذا شيء إلاّ وفيه نعمة من الله حق على العبد أن يعمل بالنعم اللاتي هي في بدنه لله - عَزَّ وَجَلَّ - في الطاعة .

ونعم أخرى في الرزق حق عليه أن يعمل لله بما أنعم عليه من الرزق في طاعته، فمن عمل بهذا فلقد كان قد أخذ بحزم الشكر وأصله وفرعه "[2] .

وحقيقة استعمال النعم في مرضاة الله : الاجتهاد في إقامة طاعته - سبحانه - فعلاً بما أمر به، وكفاً عما نهى عنه، فإن ذلك هو الذي يقتضيه تعظيمه، ولا تعظيم كالطاعة .

وروى ابن جرير في تفسير قول الله : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [3] وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال : " الشكر تقوى الله - تعالى - والعمل الصالح "، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل[4] .

وقد كان آل داود - عَلَيْهِمُ السَّلَامَ - كذلك قائمين بشكر الله - تعالى - قولاً وفعلاً .

وكان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقوم حتى تتورّم قدماه، فقيل له : أي رسول الله أتصنع هذا وقد جاءك من الله أن قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أكون عبداً شكوراً " .

---

(١) هو : عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العُمري المدني ، أخواه : أسامة وعبدالله ، كان عبدالرحمن صاحب قرآن وتفسير ، له كتاب في التفسير وآخر في الناسخ والمنسوخ ، توفي سنة ١٨٢ هـ . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨ ، وشذرات الذهب ٢٩٧/١ .

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٨٦ بإخراج أحمد طاحون .

(٣) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٧٢/٢٢ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣ .

قال ابن خزيمة - رَحِمَهُ اللهُ - : " في هذا دلالة على أن الشكر لله - عَزَّ وَجَلَّ - قد يكون بالعمل له ؛ لأنّ الشكر كله لله، وقد يكون باللسان، قال الله : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾ (١) فأمرهم - جل وعلا - أن يعملوا له شكراً، فالشكر قد يكون بالقول والعمل جميعاً، لا على ما يتوهم العامة أن الشكر إنَّما يكون باللسان فقط "(٢) .

والذي ينبغي للشاكر أن يشكر الله من جنس النعمة، فإن كانت من جهة الدنيا بذل لله منها شكراً عليها، وإن كانت من جهة الدين عمل لله واجتهد وأكثر العمل شكراً لله على إنعامه(٣)، لحديث : " خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا "(٤) .

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - : " وفيه مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله - تعالى - "(٥) :

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (٦) أي : وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، و(شكراً) مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية، كما في قول الشاعر السابق :

---

(١) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/٢٠١ .

(٣) انظر : شعب الإيمان ٣/١٣٥ ، ٤/١٣٥ .

(٤) أخـــرجه البخاري في اللباس ، باب الجلوس على الحصير ونحوه ، ومسلم في الصلاة ، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لايفطر .

(٥) فتح الباري ٣/١٥ .

(٦) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال السدي في تفسير الآية : "لم ينفك منهم مصل "[١] .

قيل : وكان داود - عَلَيْهِ السَّلاَم - قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلاّ وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرهم هذه الآية[٢] .

ويشهد لهذه المترلة قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :"... أحب الصلاة إلى الله صلاة داود - عَلَيْهِ السَّلاَم -، وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً "[٣] .

قال أبو عبدالرحمن السلمي[٤] : " الصلاة شكر والصيام شكر، وكل خير تعمله لله - عَزَّ وَجَلَّ - شكر، وأفضل الشكر الحمد لله "[٥] .

قال الطبري في تفسير : ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ [٦] : " فتأويل الآية إذاً يا مريم

---

(١) انظر : تعظيم الصلاة للمروزي ٢٤٢/١ ، وعدة الصابرين ص ١٠٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣ ، وعدة الصابرين لابن القيم ص ١٠٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أبواب التهجد ، باب من نام عند السحر ، وفي كتاب الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ... ، ومسلم في كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ... .

(٤) هو : عبدالله بن حبيب بن ربيعة ، مقرئ الكوفة ، والإمام العلم ، ولد في حياة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، حدث عن كبار الصحابة ، وأخذ القرآن عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - توفي في زمن الحجاج ، وقيل : في إمرة بشر بن مروان على العراق ، سنة أربع وسبعين أو ثلاث وسبعين للهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤ - ٢٧٢ ، وطبقات ابن سعد ١٧٢/٦ .

(٥) تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣ .

(٦) سورة آل عمران : من الآية ٤٣ .

أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصاً واخشعي لطاعته وعبادته، مع من خشع له من خلقه شكراً له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس والتفضيل على نساء عالم دهرك "[1] .

فالصلاة مفزع كل مريد عند الشدائد وعند حوادث عظيم النعم شكراً لله فإذا لم تكن الصلاة فالسجود له عند حوادث النعم، وذلك لما عرفهم من عظم قدر الصلاة عنده حتى إن الملائكة في السماوات السبع إذا رعبوا فأصابهم هول اعتصموا بالسجود[2] .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [3] قل لعبادي الذين آمنوا : يشكروا ربهم بإقامة الصلاة، فالصلاة أخص مظاهر الشكر لله، وينفقوا مِمَّا أنعمنا عليهم به من الرزق سراً وعلانية، سراً حين تصان كرامة الآخذين ومروءة المعطين، فلايكون الإنفاق، تفاخراً وتظاهراً ومباهاة وعلانية حيث تعلن الطاعة بالإنفاق وتؤدى الفريضة وتكون القدوة الطيبة في المجتمع، وهذا وذلك متروك لحساسية الضمير المؤمن وتقديره للأحوال[4] .

وجاء في تفسير قول الله - تعالى - : ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾ من تفسير ابن عيينة قال : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين عقبهما فقد شكر لهما[5] .

---

(١) تفسير الطبري ٣/٢٦٦ .

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٣/٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٣١ .

(٤) انظر : في ظلال القرآن ٤/٢١٠٦ .

(٥) تحفة الأحوذي ٦/٢٠ .

وأمَّا السجود عند حوادث النعم شكراً لله - عَزَّ وَجَلَّ - فمن ذلك أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خرّ ساجداً شاكراً لله[1].

وجاء إلى عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - رجلٌ فقال : فاتتني الصلاة الليلة - أي القيام - فقال : أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[2][3].

عن محمد بن منصور[4] أنه سئل إذا أكلت وشبعت فما شكر تلك النعمة ؟ قال : " أن تصلي حتى لا يبقى في جوفك منه شيء "[5].

والصوم على هذا نعمة تستحق التكبير والشكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ إلى قوله - تعالى - : ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[6].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في سجود الشكر ٣٩/٣ ، وصححه الألباني .

(٢) سورة الفرقان : من الآية ٦٢ .

(٣) زاد المعاد ٣٥٦/١ .

(٤) هو : العابد محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم ، الإمام الحافظ ، القدوة ، شيخ الإسلام في عصره ، أبو جعفر الطوسي ، ثم البغدادي ، من تلاميذ سفيان بن عيينة وطبقته ، وممن حدث عنه أبو داود والنسائي وآخرون ، مات في شوّال سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة وعمره ثمان وثمانون سنة . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٢ - ٢١٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٠٩/٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٢ .

(٦) سورة البقرة : الآيات ١٨٣ - ١٨٥ .

فهذه غاية من غايات الفريضة .. أن يشعر الذين آمنوا بقيمة الهدى الذي يسره الله لهم وهم يحيون هذا في أنفسهم في فترة الصيام أكثر في كل فترة وهم مكفوفو القلوب عن التفكير في المعصية ومكفوفو الجوارح عن إتيانها ولهم شاعرون بالهدى ملموساً محسوساً ليكبروا الله على هذه الهداية وليشكروه على هذه النعمة قلوبهم إليه بهذه الطاعة كما قال لهم في مطلع الحديث في الصيام : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وهكذا تبدو منة الله في هذا التكليف الذي يبدو شاقاً على الأبدان والنفوس وتتجلى الغاية التربوية منه والإعداد في وراثة الدور العظيم الذي أخرجت هذه الأمة لتؤديه، أداء تحرسه التقوى ورقابة الله وحساسية الضمير(١) .

ولما قدم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ – المدينة وجدهم يصومون يوماً – يعني عاشوراء – فقالوا : هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون فصام موسى شكراً لله، فقال : " أنا أولى بموسى منهم " فصامه وأمر بصيامه(٢) .

ومن استعمال النعم في مرضاة الله : أن ينفق مِمَّا آتاه الله في سبيل الله، ويواسي منه أهل الحاجة، ويعمر المساجد والقناطر ودور العلم والمستشفيات والمصحات وغير ذلك، ولايدع باباً من أبواب الخير إلاَّ أتاه، وأظهر من نفسه أثراً جميلاً فيه .

ثم إن كان عنده فضل فأنفق على نفسه أكثر مِمَّا يحتاج إليه فأكل لونين، ولبس ثوبين، واستخدم عبدين، وركب دابتين أو مركبين وافترش جاريتين

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١٧٢/١ .

(٢) أخـــرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ... ، ومسلم في كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء .

وسكن دارين، وغرضه من ذلك إظهار فضل الله - تعالى - ليخرج به من حكم الكاتم دون المباهاة والمكاثرة كما سبق فلا بأس بذلك ولكن إظهار النعم باستعمالها في المواساة أحسن[(١)] .

والشكر ببذل المال عمل صالح يحصل به للقلب حال، فهو دواء للداء الذي في القلب يمنعه من المقصود[(٢)] .

وقيل : الزكاة شكر نعمة المال، والصلاة شكر نعمة البدن[(٣)] .

قال ابن قدامة في المغني : " ولأن الزكاة وجبت لدفع حاجة الفقير وشكراً لنعمة المال ... ويحصل شكر النعمة بالمواساة من جنس ما أنعم الله عليه به "[(٤)] .

عن الحسن قال : رأى الأحنف في يد رجل درهماً فقال : لمن هذا ؟ قال : لي، قال : ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر، وتمثل :

أنت للمال إذا أمسكته ... وإذا أنفقته فالمال لك[(٥)]

إن ما يذبح عن المولود إنَّما ينبغي أن يكون على سبيل النسك كالأضحية والهدي، لحديث: "من أحب أن ينسك عن ولده فليفعل"[(٦)]، وحديث "فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى "[(٧)] .

---

(١) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٤/٨٨ .

(٢) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٤ .

(٣) انظر : تحفة الأحوذي ٣/٢٤٠ .

(٤) المغني ٢/٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٩٤ .

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب العقيقة ، باب استحباب العقيقة ٣/٧٥ ، وفي الصغرى في كتاب العقيقة ، باب العقيقة ٧/١٦٣ ، وأبو المحاسن في معتصر المختصر ١/٢٧٧ ، في كتاب العقيقة ، ومالك في الموطأ في كتاب العقيقة ، باب ماجاء في العقيقة ، والحاكم في المستدرك ٤/٢٣٨ ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العقيقة ، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة .

فالذبيحة عن الولد فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة وإطعام الطعام عند حوادث السرور العظام شكراً لله وإظهار نعمته التي هي غاية المقصود من النكاح، فإذا شرع الإطعام للنكاح الذي هو وسيلة إلى حصول هذه النعمة فلأن يشرع عند الغاية المطلوبة أولى وأحرى[١] .

ولذلك جاء الأمر بالوليمة عند النكاح شكراً لله كما في حديث عبدالرحمن ابن عوف حينما قدم على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعليه أثر صفرة فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تزوجتَ ؟ قال : نعم ... فقال له النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أَوْلِمْ ولو بشاة "[٢] .

وهذا شكر لله على ما أنعم به عليه من تزوجه[٣] .

وكانت امرأة عمران عجوزاً عاقراً تسمى حنة وكانت لا تلد، فجعلت تغبط النساء لأولادهن فقالت : " اللهم إن علي نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدامه "[٤] .

قال الله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٥] .

" وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لما أبلاه الله "[٦] .

---

(١) انظر : تحفة المودود لابن القيم ص ٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في أول كتاب البيوع ومواضع أخرى متعددة من صحيحه ، ومسلم بطرق متعددة في كتاب النكاح ، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفها لمن يريد تزوجها .

(٣) انظر : نيل الأوطار للشوكاني ٣٢٣/٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢٣٧/٣ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٣٥ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى الإسلام والنبوة ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب كتابه إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام .

قال سفيان بن عيينة – رَحِمَهُ اللهُ – : " عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دني فأعتق جارية له شكراً لله إذ عافاه من ذلك الخلق "[1] .

مناقشة المخالفين في أنواع الشكر :

شذّ قولان في هذا الباب :

القول الأول : الشكر لا يكون إلاّ بالاعتقاد . وهذا قول ابن المرحل[2]، ونسبه إلى أهل السنة[3] .

والجـــواب عنه من وجـــوه :

الأول : نسبة هذا القول إلى أهل السنة خطأ ؛ لأنه ضعيف، ولا تصح نسبة القول إذا ثبت ضعفه إلى أهل الحق[4] .

الثاني : أن الشكر يكون بالاعتقاد واللسان والجوارح ؛ لأنه عبادة ظاهرة تدل على الشعور والحال وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال للقلب شعوراً وأحوالاً .

وقد شرع الله من الأقوال والأفعال ما يدل على هذه العبادة، وهي الشكر وبغير ذلك لا يعلم الشكر، ولا يعلم كيفية تحققه من الشاكر .

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٣٠ .

(٢) هــو : العلامة أبو عبدالله محمد بن الشيخ مفتي المسلمين عمر بن مكي بن عبدالصمد المعروف بابن المــرحل ، شيخ الشافعية في زمانه ، ولد سنة ٦٦٥ هــ ، وسمع الحديث على المشايخ ، له باع في الطــب والفلسفة وعلم الكلام ، ويقول الشعر ، وكان يناظر شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من المحــافل والمجالس ، توفي في ذي الحجة سنة ٧١٦ هــ . انظر : البداية والنهاية ١٤/٨٠ – ٨١ ، وطبقات الشافعية ٢/٢٣٣ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/١٣٥ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/١٣٦ .

الثالث : أن الكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الشكر لا يثبت من الرجل إلاّ بالعمل مع الاعتقاد، ومن ذلك :

١ – قول الله – تعالى – : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾ (١) .

وقد قال بعض المفسرين للآية : " لم ينفك منهم مصل " بعد هذا الأمر(٢) .

٢ – قول الله – تعالى – : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (٣)، أي لا جزاءً مالياً ولا ثناءً قولياً(٤)، وهذا من أوضح الأدلة على أن الشكر يكون باللسان .

٣ – قول الله – تعالى – : ﴿ اشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ ﴾(٥)، اشكر لي بعبوديتي وأداء حقوقي، فهذا ظاهر أن المراد به العمل بالجوارح، وأن الشكر بالقلب أو الاعتقاد، ليس هو الشكر المطلوب من العبد، بل لابد من شكر الاعتقاد وشكر اللسان وشكر الجوارح وهو العمل(٦) .

ومن السنة :

– فعل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد كان يقوم حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – : " تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ " فيقول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أفلا أكون عبداً شكوراً " .

وما ورد في سجدة سورة (ص) فقد ورد في الحديث أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " سجدها داود توبة ونسجدها شكراً "(٧) .

---

(١) سورة سبأ : من الآية ١٣ .

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢٤٢/١ .

(٣) سورة الإنسان : من الآية ٩ .

(٤) انظر : تفسير ابن سعدي ص٣٠١ .

(٥) سورة لقمان : من الآية ١٤ .

(٦) انظر : تفسير ابن سعدي ص٦٤٨ .

(٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣٣٨/٣) .

بل كل الإيمان شكر، فالصلاة شكر، والصيام شكر، والحج شكر، والزكاة شكر، وكل خير يعمله العبد المؤمن شكر، وأفضل الشكر كما ورد الحمد لله[١] .

وسبق إيضاح ذلك كله وذكر الأدلة عليه .

فإن قيل : إنا إذا جعلنا الأعمال شكراً لزم انتفاء الشكر بانتفائها، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر، فلذا الأعمال لا تدخل في الشكر أو ليست من الشكر، وهو لازم قول ابن المرحل : إن الشكر لا يكون بالأعمال وإنَّما بالاعتقاد فقط :

فالجواب من وجوه :

الأول : أن هذا القول مخالف لما صرح به الكتاب والسنة .

الثاني : أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة، وهذا خطأ ؛ لأن الكفر نوعان، أحدهما : كفر النعمة، والثاني : الكفر بالله .

والكفر الذي هو ضد الشكر إنَّما هو كفر النعمة لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة لا الكفر بالله[٢] .

الثالث : أنه لو كان ضد الكفر بالله من ترك الأعمال شاكراً بقلبه ولسانه، فقد أتى ببعض الشكر وأصله، والكفر إنَّما يثبت إذا عدم الشكر بالكلية، كما قال أهل السنة : إنَّ من ترك فروع الإيمان لا يكون كافراً حتى يترك أصل الإيمان، وهو الاعتقاد، ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة التي هي ذات شعب وأجزاء زوال اسمها كالإنسان إذا قطعت يده أو الشجرة إذا قطع بعض فروعها[٣] .

الرابع : يعلم بالاضطرار أنه ليس من الحق والعدل إخراج الأعمال أن تكون شكراً لله، بل قد نص الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال، وشواهد

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٧/١١ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٨/١١ .

هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل[1] .

القول الثاني من الأقوال المخالفة للحق :

أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، ولكن من ترك الأعمال يكون كافراً خارجاً عن الملة ؛ لأن الكفر نقيض الشكر، فإذا لم يكن شاكراً كان كافراً، وهذا هو مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي .

والجواب عن هذا من وجوه :

الأول : أن ما ذهب إليه هؤلاء يخالف نصوص الكتاب والسنة .

الثاني : أن أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي، وهذا له موضع آخر غير ذاك .

الثالث : أن الكفر المضاد للشكر هو كفر النعمة، وليس الكفر بالله المخرج من الملة، مثل كفر الجحود والتكذيب أو نحوهما من أنواع الكفر المنافي للإسلام[2] .

الشكر على الأقدار :

قال بعض أهل العلم : " لنعم الله علينا فيما زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمه علينا فيما بسط لنا منها " [3] .

وذلك أن الله لم يرض لنبيه الدنيا، ولذلك لم يخش الفقر على أمته - صَلَّى

(١) انظر : العقود الدرية لابن عبدالهادي ١١٦/٨ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٧/١١ .

(٣) عـــدة الصابرين ص ١٠٨ ، وانظر : الشكر لابن أبي الدنيا ص ٤٩ بتحقيق زغلول ، والحلية لأبي نعيم ٨٢/٧ .

اللهُ عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ -[1]، وهو القائل : " ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلاّ كراكب استظل تحت شجرة ثم قام فتركها "[2] .

فإن يكن المسلم فيما رضي الله لنبيه وأحب له، خيراً له من أن يكون فيما كره له وسخط .

قال ابن أبي الدنيا : " بلغني عن بعض العلماء أنه قال : ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوي عنه من شهوات الدنيا، كما يحمده على ما أعطاه، وأين يقع ما أعطاه والحساب يأتي عليه إلى ما عافاه فلم يبتله به، فيشغل قلبه ويتعب جوارحه، فيشكر الله على سكون قلبه وجمع همه " [3] .

وقال أبو حازم : " نعمة الله علي فيما زوى عني من الدنيا أعظم عليَّ من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها قوماً فهلكوا " [4] .

قيل : إنَّ موسى قال : " يا رب ما أفضل الشكر ؟ قال : أن تشكرني على كل حال " [5] .

---

(١) أخـــرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدراً ، ومسلم في أول كتاب الزهد من قصـــة مقدم أبي عبيدة من البحرين بالمال وتشوق الصحابة لذلك " أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ... " .

(٢) أخـــرجه الترمذي عن عبدالله في كتاب الزهد ، باب ٤٤ منه ، وقال : وفي الباب عن عمروا بن عباس ، قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن صحيح " ، وابن ماجه في الزهد ، باب مثل الدنيا، وأحمـــد في المسند ٣٠١/١ ، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة . مجمع الزوائد ٣٢٦/١٠ ، وأحمد أيضاً في المسند ٣٩١/١ ، ٤٤١ ، وأبو يعلى في مسنده ١٤٨/٩ .

(٣) الشكر لابن أبي الدنيا ص٤١ بدر البدر .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص٥٠ بتحقيق زغلول ، وأبو نعيم في الحلية ٢٣٣/٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص٦٠ بتحقيق زغلول ، وانظر : عدة الصابرين ص٧١٤ .

وقال أعرابي : " الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه غيره " [(١)] .

ودعا عثمان – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – إلى قوم اجتمعوا على ريبة لهم فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبة شكراً لله ألا يكون جرى على يديه خزي مسلم[(٢)] .

وعن قتادة في قـــوله – تعالى – : ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [(٣)] " فأنتم في ذلك المتاع، فخذوه بطاعة الله، ومعرفة حقه، فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر في مزيد من الله، وذلك قضاؤه الذي قضى "[(٤)] .

عن سفيان بن عيينة، عن محمد بن سوقة قال : مررت مع عون بن عبدالله بالكوفة على قصر الحجاج، فقلت : لو رأيت ما نزل بنا هاهنا زمن الحجاج ؟ فقال : مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك ارجع فاحمد الله – تعالى – واشكره، ألم تسمع إلى قول الله – عَزَّ وَجَلَّ – : ﴿ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ [(٥)] .

قال شريح : " ما أصيب عبد بمصيبة إلاَّ كان لله – – عَزَّ وَجَلَّ – فيها ثلاث نعم : ألا تكون كانت في دينه، وألا تكون أعظم مِمَّا كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت " [(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص٣٧ بتحقيق زغلول .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص٥١ بتحقيق زغلول .

(٣) سورة هود : من الآية ٣ .

(٤) تفسير الطبري ١١/١٨١ .

(٥) سورة يونس : من الآية ١٢، وهذا الأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص ٢٩ بتحقيق زغلول .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر ص٣٠ بتحقيق زغلول .

والمؤمن صاحب المصائب وخاصة السماوية إذا رأى ذلك نعمة عليه لما فيه من صلاح قلبه ودينه وقربه إلى الله، وتكفير سيئاته وصونه عن ذنوب تدعوه إليها شياطين الإنس والجن، شكر الله على هذه النعم .

ويسلم للرب - سبحانه وتعالى - المحسن المدبر له بحسن اختياره الذي لا يقضي للمؤمن قضاء إلاَّ كان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له(١)، وهذا يورث الشكر لله المتفضل عليه بالنعم العظيمة(٢) .

فكلما نظر العبد إلى ما فعل الله به من نعمة أو يخلفه فهو شكر(٣) .

والعبد على كل حال بين أمرين :

أمر يفعله الله به : فهي نعم الله التي تنزل عليه فتحتاج إلى الشكر .

وأمر يفعله هو : إمَّا خير وإمَّا شر، فالخير يفتقر إلى معونة الله له، فيحتاج إلى الاستعانة، والشر يفتقر إلى الاستغفار ليمحو أثره .

وهذا موافق لفاتحة الكتاب حيث قسمت نصفين، نصفاً للرب مفتتحاً بالحمد لله، ونصفاً للعبد مفتتحاً بالاستعانة بالله، كما في صحيح مسلم أن الله - تعالى - قال : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين، قال الله : حمدني عبدي ... " إلى قوله : " اهدنا الصراط المستقيم ... هذا لعبدي ولعبدي ما سأل "(٤) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر : جواب أهل العلم والإيمان ضمن فتاوى ابن تيمية ١٧/٢٧ .

(٣) انظر : تفسير سورة الأعلى ضمن فتاوى ابن تيمية ١٦/١٨٨ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .

وقد يقرن بين الحمد والاستغفار[1] .

ثم إنَّ العبد لا يخلو قط من أن يكون في نعمة أو بلية، فإن كان في نعمة ففرضها الشكر والصبر، وأمَّا الشكر فهو قيدها، وثباها والكفيل بمزيدها .

وأمَّا الصبر : فعن مباشرة الأسباب التي تسلبها، وعلى القيام بالأسباب التي تحفظها .

فهو أحوج إلى الصبر فيها من حاجة المبتلى .

وفي الدعاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2] .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾[3] .

---

(١) انظر : مسائل في الحديث وعلومه ضمن فتاوى ابن تيمية ١٨/٢٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآيتان ٢٦-٢٧ .

(٣) سورة البقرة : الآيات ١٢٦ إلى ١٢٩ .

وكان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يفتتح صلاته إذا قام من الليل بقوله : " اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم "(١) .

وهذه أدعية كثيرة تتضمن افتقار العبد إلى الله في أن يعطيه الإيمان والعمل الصالح، فهذا افتقار واستعانة بالله قبل حصول المطلوب، فإذا حصل بدعاء أو بغير دعاء شهد إنعام الله فيه، وكان مقام الشكر والعبودية لله، وأنَّ هذا حصل بفضله وإحسانه لا بحول العبد وقوته .

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد، وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به . فإنه يكون قدرياً منكراً لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، وإن يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال، وذلك يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله، واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به، فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها لا مع الاحتجاج بالقدر عليها خيراً من هذا الذي يشهد الطاعة منه لا من إحسان الله إليه، ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان .

والتنعمات بالنعم هي نعمة من وجه دون وجه، فليست من النعم المطلقة، ولا هي خارجة عن جنس النعم مطلقها ومقيدها .

فباعتبار ما فيها من النعم يصلح أن يطلب حقها من الشكر وغيرها وينهى عن استعمالها في المعصية، فتكون نعمة في باب الأمر والنهي والوعد والوعيد .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٥٣٤/١ .

وباعتبار أن صاحبها يترك فيها المأمور ويفعل فيها المحظور ويزيد عذابه على نعمها وكانت وبالاً عليه لا نعمة .

وعلى هذا فوجودها في حقه ليس خيراً وليست نعمة في حقه في باب القضاء والقدر والخلق والمشيئة العامة، وإن كانت نعمة في حق عموم الخلق والمؤمنين، ووجودها على هذا استدراج وإملاء[1] .

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾[2] .

ففي المخلوقات نعم من جهة حصول الهدى والإيمان والاعتبار والموعظة بها، وهذه أفضل النعم .فأفضل النعم الإيمان .

وكل مخلوق من المخلوقات فهو الآيات التي يحصل بها ما يحصل من هذه النعمة،قال- تعالى-:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3]وقال - تعالى - : ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾[4] .

وما يصيب الإنسان إنْ كان يسره فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه ويثاب بالصبر عليه .

ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5] .

---

(١) انظر : قاعدة في المحبة ٣/١٦٥ .

(٢) سورة الفجر : الآيتان ١٥ و ١٦ .

(٣) سورة يوسف : من الآية ١١١ .

(٤) سورة ق : الآية ٨ .

(٥) سورة البقرة : من الآية ٢١٦ .

وفي الحديث السابق : " والله لا يقضي للمؤمن من قضاء إلاَّ كان خيراً له، إنَّ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "، وإذا كان هذا وهذا فكلاهما من نعم الله عليه[1] .

وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى الصبر .

وفي الحديث :" أعوذ بك من شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر"[2] .

والفقر يصلح عليه خلق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلاَّ أقل منهم ... ولهذا كان أكثر من يدخل الجَنَّة المساكين ؛ لأن فتنة الفقر أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر .

لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الألم اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء[3] .

قال الله – تعالى – : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾[4] .

ويوضح ذلك قوله – تعالى – : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/٣٠٤-٣٠٥ ، ٨/٢٠٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/٣٠٤-٣٠٥ .

(٤) سورة هود : الآية ٩ .

رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (1) .

يقول: ما كل من وسعت عليه أكرمته، ولا كل من قدرت عليه أكون قد أهنته، بل هذا ابتلاء ليشكر العبد على السراء ويصبر على الضراء فمن رزق الشكر والصبر كان كل قضاء يقضيه الله خيراً له(2) .

ومن الحكمة في تضييق الرزق على العبد وتوسيعه : الابتلاء لأجل الصبر والامتحان لأجل الشكر، كما قال الله - تعالى - : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ (3) والآيات في ذلك كثيرة .

وما يبتلي به الله عباده من المصائب ويأمرهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوجد لهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد " حفت الجَنَّة بالمكاره، وحفت النَّار بالشهوات "(4) .

عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في قوله - تعالى - : ﴿ لِّكَيۡلَا

---

(1) سورة الفجر : الآيات من ١٥ إلى ٢٠ .

(2) مسائل في الصلاة لابن تيمية ضمن الفتاوى ٢٢/٤٤٧-٤٤٨ .

(3) سورة البقرة : الآية ٢٤٣ .

(4) أخرجه مسلم في أول كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها وأهلها .

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1] قال : " ليس أحد إلاَّ وهو يحزن ويفرح، ولكن من جعل المصيبة صبراً وجعل الفرح شكراً "[2] .

وفي رواية عنه : " وجعل الخير شكراً "[3] .

وفي تفسير قول الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[4] .

قال قتادة : " كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر "[5] .

والله - سبحانه - مدح في كتابه الصبار الشكور، قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ في غير موضع .

فالصبر والشكر على ما يقدره الرب على عبده من السراء والضراء من النعم والمصائب من الحسنات التي يبلوه بها والسيئات فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر والنعم بالشكر .

ومن النعم ما يسره له من أفعال الخير، ومنها ما هي خارجة عن أفعاله، فيشهد القدر عند فعله للطاعات، وعند إنعام الله عليه فيشكره[6] .

---

(١) سورة الحديد : من الآية ٢٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٩/٢ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : " صحيح " .

(٣) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٧/٧ .

(٤) سورة إبراهيم : من الآية ٥ .

(٥) تفسير ابن كثير ٥٢٤/٢ ، ٥٣٧/٣ .

(٦) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٧/٨ .

وقيل للحسن البصري : " هاهنا رجل لا يجالس الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك فقال : إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن : أنت عندي يا عبدالله أفقه من الحسن، فالزم ما أنت عليه "[1] .

وتضاف النعم إلى الله ؛ لأنها تقع بسبب الكسب أو بلا كسب، ولأنها من إحسان الله إلى عبده، فقد أحسن بها بكل اعتبار، فهو يحبها ويرضاها .

فيحب أن ينعم، ويحب أن يطاع، ولهذا تأدّب العارفون فأضافوا النعم إليه والشر إلى محله[2] .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[3] .

وفي تفسير قول الله – تعالى – : ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾[4]، أي محنة واختبار، والمعنى أنه لم يؤت هذا لكرامته علينا، بل أوتيه امتحاناً منا وابتلاء واختباراً، هل يشكر فيه أم يكفر، وهذا يوافق قوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾[5] .

فهو قد اعترض بأن ربه هو الذي آتاه ذلك، ولكن ظن أنه لكرامته عليه .

فالآية فيها ذم لمن أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته، ولم يضفها إلى فضل

---

(١) عدة الصابرين ص١١٩ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/٢٢٣ .

(٣) سورة النساء : من الآية ٧٩ .

(٤) سورة الزمر : من الآية ٤٩ .

(٥) سورة الفجر : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

الله وإحسانه، وذلك محض الكفر بها فإن رأس الشكر الاعتراف بالنعمة، وأنها من المنعم وحده، فإذا أضيفت إلى غيره كان جحداً لها[1] .

حقيقة الشكر عند القدرية ومناقشتهم :

أولاً : **القدرية** : هم الذين قالوا بأن لا قدر، والأمر أنف - أي مستأنف لم يسبقه قدر - وأول من قال ذلك معبد الجهني سنة ٨٠ هـ، ثم تبعه في ذلك المعتزلة أتباع واصل بن عطاء، وغيرهم من الجهمية[2] .

فكل من قال في القدر شيئاً يخالف القرآن والسنة، وما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فهم قدرية، وهم طائفتان :

الأولى : **المعتزلة** : إحدى الفرق الكبار المنتسبة إلى أهل القبلة، وتحتها فرق، وسُمُّوا معتزلة لاعتزالهم المسلمين، أو لاعتزالهم مجلس الحق ؛ فقد اعتزل رئيسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، فسماهم الحسن معتزلة، وقد أجمعت على نفي صفات الله والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعله، وأن مرتكب الكبيرة موحد مخلد في النَّار، ونفوا الشفاعة، ويرون الخروج على السلطان وترك طاعته، ولهم أصول خمسة : العدل، والتوحيد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفاصيلها في كتبهم[3] .

الطائفة الثانية : **الجبرية** : هم الذين يسندون فعل العبد إلى الله، ويقولون : إن العبد مجبور على فعله، وهم صنفان : الجبرية الخالصة، التي لا تثبت

---

(١) انظر : شفاء العليل ص ٣٨ .

(٢) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ٣٦٢/١ ، ومجموع الفتاوى ٣٦/١٣ - ٣٧ .

(٣) انظر : البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ٢٦ - ٢٧ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٤ - ١١٧ ، ولوامع الأنوار البهية ٧٦/١ ، وغيرها .

للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ؛ كجهم بن صفوان وأصحابه، والجبرية المتوسطة : الذين يثبتون للعبد قدرة لكنها غير مؤثرة وتنسب الفعل إليه على جهة الكسب والمباشرة كالأشعرية(١) .

ثانياً : سبق أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قام حتى تفطرت قدماه، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً " .

واقتصر - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من جوابهم على ما تدركه عقولهم وتناله أفهامهم، وإلاَّ فمن المعلوم أن باعثه على ذلك الشكر، أمر يجل عن الوصف، ولا تناله العبادة، ولا الأذهان، فأين هذا الشهود من شهود القدرية والجبرية، فليعرض العاقل اللبيب ذينك المشهدين على هذا المشهد، ولينظر ما بين الأمرين من التفاوت .

فالله - سبحانه - يُعبد ويُحمد، ويُحب ؛ لأنه أهل لذلك ومستحقه، بل ما يستحقه - سبحانه - من عباده أمر لا تناله قدرتهم ولا إرادتهم ولا تتصوره عقولهم، ولا يُمكن أحد من خلقه قط أن يعبده حق عبادته ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد، فقد أنعم عليهم على قدره، وكلفهم الشكر على قدرتهم كما قيل(٢) :

فالعمل والعبادة والطاعة لا تستقل بالنجاة ؛ لأنه لا ينجو أحد بعمله بل برحمة الله وفضله(٣)، كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟ قالَ : ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل "(٤) .

---

(١) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١٨/٨ ، ٣٧/١٣ .

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ٨٩/٢ .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ٨٩/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنَّار ،باب لن يدخل أحد الجَنَّة بعمله بل برحمة الله .

فطاعات العبد كلها لا تكون مقابلة لنعم الله عليه ولا مساوية لها، بل ولا للقليل منها، فكيف يستحقون بها على الله النجاة، وطاعة المطيع لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله عليه، فتبقى سائر النعم تتقاضاه شكراً، والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه، فجميع عباده تحت عفوه ورحمته وفضله، فما نجا منهم أحد إلاَّ بعفوه ومغفرته، ولا فاز بالجنة إلاَّ بفضله ورحمته[1] .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] .

فأخبر أنه يعذبهم العذاب الأدنى لحكمة منها : رحمة بهم ليردهم العذاب إليه كما يعذب الأب الشفيق ولده إذا فر منه إلى عدوه ليرجع إلى بره وكرامته .

وقال الله - تعالى - : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[3] .

وأنت تجد تحت هذه الكلمات أن تعذيبه لكم لا يزيد في ملكه ولا ينتفع به ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة، وأنكم إذا بدلتم الشكر والإيمان بالكفر كان عذابكم منكم وكان كفركم هو الذي عذبتم به[4] .

هذا فهم أهل الحق من العقلاء أهل العلم والإيمان .

ثانياً : حقيقة الشكر عند القدرية :

أمَّا الجهمية والمعتزلة فينكرون محبته وحقيقة إلهيته وعلى قولهم تمتنع عبادته .

لكن المعتزلة تقر بالنعمة ووجوب الشكر .

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة ٢/١٠٩ .

(٢) سورة السجدة : الآية ٢١ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٧ .

(٤) انظر : شفاء العليل لابن القيم ١/٢٥٥ .

وعلى هذا بنوا دينهم وجعلوا غاية الواجبات هي الشكر، ولهذا قالوا: الشكر يجب عقلاً، وأمَّا العبادة والمحبة فلم يعرفوها، ولم يصلوا إليها بل أنكروها .

وأمَّا الجهمية المجبرة لا هذا ولا هذا، لكن يعترفون بقدرته وأنه يفعل ما يشاء.

ولهذا كانوا في الواجبات وترك المحرمات أبعد من المعتزلة، فإنهم مرجئة مجبرة فلا يجزمون بالوعيد .

وهذا نصف الحرف الباعث على العمل .

ويقولون بالجبر وهذا نصف الاعتراف بحق الله على العبد ووجوب شكره فتضعف دواعيهم من جهة الخوف ومن جهة الشكر لا يشكرون نعمه الماضية، ولا يخافون عقوبته المستقبلية .

ولكن لما آمن من آمن منهم بالرسل صار عندهم خوف ما ورجاء، وصاروا يوجبون الشكر شرعاً، وعندهم داعي الرجاء، فالرجاء عندهم أغلب من الخوف[1] .

وحقيقة قول المجبرة أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة، وإنَّما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح .

وكل الممكنات عندهم متماثلة فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وضررهم، يقولون هذا كله عنده سواء .

ومعلوم أن الإنعام إنَّما يكون إنعاماً إذا قصد به المنعم نفع المنعم عليه دون إضراره، وأمَّا إذا قصد الأمرين فهذا ليس جعله منعماً مصلحاً بأولى من جعله

---

(١) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية ٢/١١١-١١٢ ، بتحقيق : محمد رشاد سالم .

معتدياً مفسداً، كمن بيده سيف يضرب به صديق الإنسان تارة وعدوه أخرى أو معه دراهم يقوى بها تارة، ويقويه بها تارة، فهذا ليس كونه محسناً إليه بأولى من كونه ضاراً له ومحسناً إلى عدوه[1] .

وأمَّا النافية فعندهم أن هذا كله واجب عليه البيان، وخلق القدرة، وإزاحة العلل والجزاء، ومن فعل الواجب الذي يستحقه غيره عليه لم يستحق الشكر المطلق[2] .

وأيضاً إنعامه بالهدى على المؤمنين والكفار سواء، فشكر المؤمنين له على الهدى كشكر الكفار عليه إذ لم ينعم على المؤمنين بنفس الهدى، بل هم اهتدوا بقدرتهم ومشيئتهم، وإذن كان إنعامه على النوعين سواء، ولكن هؤلاء هم الذين فعلوا ما يسعدون به[3] .

فالجهمية والجبرية والقدرية لا يقرون أن الله يُشكر في السراء والضراء، وبالقلب واللسان واليد، لأنهم لم يعرفوا ما في خلقه - سبحانه - وقدرته من النعم .

ولذلك ليس عند الجهمية والجبرية إلاَّ قدرة مجردة عن نعمة وحكمة، فلا يظهر فيها وصف حمد .

وحقيقة مذهبهم أنه لا يستحق الحمد، فله ملك بلا حمد، وعند القدرية : لا تعود إليه حكمة، بل ما ثم إلاَّ نفع الخلق فما عندهم إلاَّ شكر، فله - تعالى عما يقولون - نوع من الحمد بلا ملك[4]، كما سأبين في هذا المبحث .

---

(١) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية ٢/١٠٣ .

(٢) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية ٢/١٠٣ .

(٣) انظر السابق ٢/١٠٤ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢١١ .

مناقشة القدرية والرد عليهم :

وأنا أجيب عن فساد المذهبين معاً كونهما متفقين في نفي الحكمة والعدل في آياته الدالة على قدرته وربوبيته - سبحانه - وآياته الدالة على الحكمة والعدل في إنعامه على عباده، وذلك من وجوه :

الأول : نقول لهم : في كل ما خلقه الله - تعالى - إحسان إلى عباده يشكر عليه، وله فيه حكمة تعود إليه يستحق أن يحمد عليها لذاته .

لأن جميع المخلوقات فيها إنعام إلى عباده، ولذلك خاطب الله الثقلين بقوله - تعالى - : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (1)، فله الملك والحمد تامين .

إنَّ تعليم القرآن، وخلق الإنسان، وتعليمه البيان، وخلق الشمس والقمر والنجم والشجر، وإخضاعهما، ورفع السماء ووضع الميزان، والنهي عن الطغيان في الميزان، والأمر بإقامة الوزن بالقسط وعدم الخسران في الميزان، وخلق الأرض وتوطئتها للخلق وإيداعها كل الخيرات، ومنها الفاكهة والنخل بليفه المنتفع به مع تمره ورطبه، والحب كالبر والشعير وغير ذلك مع تبنه وريحانه - أي رزقه -، فبأي هذه النعم يكذب الإنس والجن ؟ إنها مخلوقة لحكمة، إنها نعم نافعة ظاهرة يجب أن يشكر المنعم عليها .

إنَّ خلق الإنسان من صلصال كالفخار، والجان من مارج من نار، وخلق المشرق والمغرب والبحر العذب والبحر المالح، وجعل البرزخ الذي لا يرى بالعين بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر، وخروج اللؤلؤ والمرجان من العذب والمالح، وتسهيل جريان السفن والجواري المنشآت في البحر كالأعلام، وفناء من على الأرض من المخلوقات غير وجهه - سبحانه -، وفزع المخلوقين

---

(1) سورة الرحمن : الآية ١٣

وسؤالهم وحاجتهم إليه - سبحانه - وتقدير مقاديرهم اليومية - إلى آخر ما ذكر في السورة -، كلها نعم وآيات لله فيها حكمة تدل على عدله، ويحصل بها هدايتهم مع دلالتها على وحدانية الله وصدق أنبيائه .

فأفضل النعم الإيمان، وكل مخلوق فهو من الآيات التي يحصل بها ما يحصل من هذه النعمة، كما في قوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1] فله الملك والحمد تامين[2] .

الثاني : أن ما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة ؛ لأنه يكفر خطاياه ويثاب عليه بالصبر .

ثم إنَّ فيه حكمة ورحمة لا يعلمها العبد كما يدل على ذلك قول الله - تعالى - : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾[3] .

وقال - سبحانه - : ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[4] .

وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى الصبر ولهذا قال الصحابة - رَضِيَ اللهُ

---

(١) سورة يوسف : من الآية ١١١ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠٨/٨ ، ٢٠٩ ، وتفاسير سورة الرحمن .

(٣) سورة البقرة : من الآية ٢١٦ .

(٤) سورة النساء : من الآية ١٩ .

عَنْهُمْ – : " ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر "(١)، لكن لما كان في السراء اللذة، وفي الضراء الألم اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء، وهذا يتضح من قول الله – تعالى – : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(٢) .

فالله منعم بالسراء والضراء – وإن كان لا يظهر في الابتداء لأكثر الناس – يشكر عليها الله – تعالى – ويحمد(٣) .

الثالث : يذكر الله – تعالى – في القرآن الكريم آياته الدالة على قدرته وربوبيته، ويذكر آياته المبينة لحكمته، وهي متلازمة لكن نعمة الانتفاع بالمآكل والمشارب والمراكب والمساكن والملابس وغيرها من النعم – كما في سورة النعم(٤) وغيرها – ظاهرة لكل أحد .

أمَّا نعمة ما يصدر عن قدرته – سبحانه – وإرادته الكونية الدالة على ربوبيته – تعالى – فلا تظهر لأكثر الناس كما سبق .

ولذلك كان ممن لا يعرفون هذا الجهمية والجبرية، وكذلك القدرية من المعتزلة ومن وافقهم(٥) .

---

(١) أخـــرجه الأزدي في جامعه ٤٥٧/١١ ، والترمذي في صفة القيـــامة والرقـــاق والورع ... بـــاب (٣٠) وقال :" حديث حسن " (٦٢٤/٤) ، وضعف إسناده الضياء في المختارة (١٢٣/٣) وأخرجه هناد بن السري في الزهد ،وقال : "في إسناده ضعيف " ،والشاشي في مسنده (٢٨٠/٢) .

(٢) سورة هود : الآيات ٩-١١ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠٩/٨ .

(٤) أي: سورة النحل .

(٥) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٠/٨ .

الرابع : أن الله أخبر عن نفسه - سبحانه - بأن له الملك والحمد التامين كما في قوله - تعالى - : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

فله - سبحانه - الملك والحكمة والعزة والعدل، ومن قصر في إثباتها أو أثبت النقص في هذه الأربعة أو إحداها، فقد تنقص الله - تعالى - أو نقص الرب بعض حقه[2] .

الخامس : أن الجهمية والجبرية : لا يثبتون عدلاً ولا حكمة ولا توحيد إلهية، بل توحيد ربوبية فقط، والمعتزلي لا يثبت توحيد إلهيته، ولا عدلاً ولا عزة ولا حكمة .

وإن قال : إنه يثبت حكمة ما، معناها يعود إلى غيره فتلك لا تكون حكمة، فمن فعل لا لأمر يرجع إليه بل لغيره فهذا عند العقلاء قاطبة ليس بحكيم، وإذا كان الحمد لا يقع إلاّ على نعمة فقد ثبت أنه رأس الشكر، فهو أول الشكر والحمد، وإن كان على نعمة وعلى حكمة، فالشكر بالأعمال هو على نعمته، وهو عبادة له لإلهيته التي تتضمن حكمته، فقد صار مجموع الأمور داخلاً في الشكر[3] .

السادس : أن الله عظّم أمر الشكر في القرآن العظيم ولم يعظم أمر الحمد مجرداً، إذ كان نوعاً من الشكر، وشرع الحمد الذي هو الشكر مقولاً أمام كل خطاب مع التوحيد، ففي سورة الفاتحة : الشكر مع التوحيد، والخطب الشرعية

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢١١ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢١١ - ٢١٢ .

لابد فيها من الشكر والتوحيد، والباقيات الصالحات نوعان : فسبحان الله وبحمده فيها الشكر والتتريه والتعظيم، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر فيها التوحيد والتكبير[1]، وقد قال الله – تعالى – : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[2] .

وفي الصحيح كان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذا رفع رأسه من الركوع قال : "ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد "[3] .

وأمَّا قول ابن العلقمي الرافضي القدري : " ومنها أنه يلزم أن لا يبقى عندنا فرق بين من أحسن إلينا غاية الإحسان طول عمره وبين من أساء إلينا غاية الإساءة طول عمره، ولم يحسن منا شكر الأول وذم الثاني ؛ لأن الفعلين صادران من الله عندهم "[4] .

وحقيقة هذا القول : أن لا يكون العبد محموداً ومشكوراً على إحسانه ومذموماً على إساءته، إلاَّ بشرط أن لا يكون الله جعله محسناً إلينا، ولا من به علينا إذا فعل الخير، ولا ابتلانا به إذا فعل الشر[5] .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٢/٨ .

(٢) سورة غافر : من الآية ١٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام ، وباب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع .

(٤) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية ١٢٩/٣-١٣٠ .

(٥) انظر : منهاج السنة ١٣١/٣ .

وهذا باطل لأمور :

١ – أن الشرع والعقل يدلان على فساد هذا القول، فإن حقيقته أنه حيث يشكر العبد لا يشكر الله، وحيث يشكر الرب لا يشكر العبد[١] .

٢ – أنَّ حقيقة هذا القول : أنه لا يكون لله علينا منة في تعليم الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وتبليغه إلينا رسالات ربه بل ولا يكون لله – تعالى – نعمة على عباده[٢] .

وقد قال الله – تعالى – : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] .

٣ – على قول القدري يكون إرسال الله للرسل من جنس إرسال مخلوق إلى مخلوق، فذاك تفضل بنفس الإرسال، لا بأن جعل الرسل تتلوا وتعلم وتزكي، بل هذه الأفعال منتسبة عندهم فيها للرسول، الذي خلقها – في زعمهم – دون المرسِل الذي لم يحدث شيئاً منها[٤] .

٤ – على قول القدري : لا يقدر الله أن يجعل أحداً محسناً إلى أحد، ولا مسيئاً إلى أحد، ولا يقدر أن ينعم على أحد بمن يحسن إليه ويكرمه، ولا يقدر على أن يبتليه بمن يعذبه ويهينه[٥] .

---

(١) انظر : منهاج السنة ١٣٢/٣ .

(٢) انظر :المصدر السابق نفس الموضع .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .

(٤) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ١٣٢/٣ .

(٥) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ١٣٣/٣ .

٥ - قال بعضهم : إنه على قول القدري لا يستحق الله - عَزَّ وَجَلَّ عَن هَذَا - أن يشكر بحال، فإن الشكر إنَّما يكون على النعم، والنعم إمَّا دينية وإمَّا دنيوية وإمَّا أخروية .

فالنعم الدنيوية هي عنده واجبة على الله، وكذلك ما يقدر عليه من الدينية، كالإرسال وخلق القدرة .

وأمَّا نفس الإيمان والعمل الصالح فهو عنده لا يقدر أن يجعل أحداً مؤمناً ولا مهتدياً، ولا صالحاً ولا براً ولا تقياًّ، فلا يستحق أن يشكر على شيء من هذه الأمور التي لم يفعلها ولا يقدر عليها عنده .

وأمَّا النعم الأخروية فالجزاء واجب عليه عنده، كما يجب على المستأجر أن يوفي الأجير أجره، ومعلوم أن هذا عنده، من باب العدل المستحق لا من باب الفضل والإحسان، بمترلة من قضى ديناً كان عليه فلا يستحق الشكر على فضل ولا إحسان .

ومن هذا حقيقة قوله كيف يعيب أهل الإيمان الذين يشكرون الله على كل حال ونعمة، ويشكرون من أجرى الله الخير على يديه ؟ فإنه " من لا يشكر الناس لم يشكر الله "[1]، ومن أساء إليهم يعتقدون جواز مقابلته بالعدل، وأن العفو عنه أفضل إذا لم يكن في عقوبته حق لله، ويرى أحدهم أن الله أنعم عليه بإحسان الأول ليشكره عليه، وأنه ابتلاه بإساءة هذا إليه كما يبتليه بأنواع

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٩٨/٨ ، وابن منده في الفوائد وقال : " حديث صحيح وإسناده جيد " ، وهنادي بن السري في الزهد ٤٠٢/٢ وقال : رجاله ثقات ، وأحمد في المسند من طريق متعددة في عدة مواضع ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، والترمذي في كتاب الأدب ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، وقال : " ... وهذا حديث حسن صحيح " .

البلاء ليصبر ويستغفر من ذنوبه ويرضى بقضائه[1] .

كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال : " عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم في الزهد .

٦ - على رأي القدري لا يستحق المدح والثناء والشكر إلاَّ من لم يجعله الله محسناً، ولا يستحق الذم إلاَّ من لم يجعله الله مسيئاً، بل من لا يقدر الله أن يجعله محسناً ولا مسيئاً فعنده لا مدح ولا ذم إلاَّ بشرط عجز الله - تعالى - وقصور مشيئته وخلقه، وحدوث الحوادث بدون محدث[2] .

٧ - أنه من المعلوم أن عامة أهل الأرض مقرون بالقدر وهم مع هذا يمدحون المحسن ويذمون المسيء، فطروا على هذا، فيقرون أن الله خالق كل شيء وربه، وأنه قدر ذلك كله وسلط هذا ويسر هذا، ويمدحون هذا ويذمون هذا، وأهل الإثبات المقرون بالقدر يمدحون المحسن ويذمون المسيء، مع اتفاقهم على أن الله خالق الفعلين[3] .

٨ - أنه يلزم من قولهم أن لا يفرقوا بين المحسن والمسيء وهذا لزوم ما لا يلزم، وغاية الأمر أن يكون الله جعل هذا مستحقاً وهذا مستحقاً، لم يمتنع أن يمدح هذا ويذم هذا[4] .

٩ - ومن هذا الأصل الباطل نشأ قولهم باستواء الأفعال بالنسبة إلى الرب - سبحانه - وأنها لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة إليه - سبحانه - بين الشكر والكفر .

---

(١) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ٣/١٣٤-١٣٥ .

(٢) انظر : منهاج السنة لابن تيمية ٣/١٣٧ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٣/١٣٦ .

(٤) انظر : منهاج السنة ٣/١٣٧ .

ولذلك قالوا : لا يجب شكره على نعمة عقلاً، فعن هذا الأصل قالوا : إنَّ مشيئته هي عين محبته وأن كل ما شاءه فهو محبوب له ومرضي له ومصطفى ومختار، فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الأصل أن يقولوا : إنه يبغض الأعيان والأفعال التي خلقها، ويحب بعضها، بل كل ما فعله وخلقه فهو محبوب له، والمكروه المبغوض ما لم يشأه ولم يخلقه وإنَّما أصلوا هذا الأصل محافظة منهم على القدر .

فحثوا به على الشرع والقدر والتزموا لأجله لوازم شوشوا بها على القدر والحكمة، وكابروا لأجلها صريح العقل وسووا بين أقبح القبائح وأحسن الحسنات في نفس الأمر، وقالوا : هما سواء لا فرق بينهما إلاَّ بمجرد الأمر والنهي فالكذب عندهم والظلم والبغي والعدوان مساوٍ للصدق والعدل والإحسان في نفس الأمر، ليس في هذا ما يقتضي حسنه ولا في هذا ما يقتضي قبحه[1] .

* * *

---

(١) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص١٢٧ .

نتائج البحث :

إن أولى ما نختم به هذا البحث هو ذكر النتائج التي توصلت إليها فيه وهي على سبيل الإيجاز :

١- أن حقيقة الشكر في القرآن والسنة وأقوال السلف : طاعة الله المتضمنة خضوع القلب واعترافه بالمنعم والنعمة والتحدث بذلك، وصرفها فيما يرضي الله تعالى، وذلك بحمده والثناء عليه والعمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الظاهرة والباطنة .

٢- أن تقوى الله - تعالى - بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والسعي إلى تحقيق مرضاته وطاعة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والاستعانة بالله في ذلك : أساس تحقيق الشكر المطلوب من العباد .

٣- أن حقيقة الشكر : الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نبياً رسولاً .

٤- أن للشكر أركاناً لايكمل ولايتحقق إلاَّ بها مبناها على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثنائه عليه بها، وأن لايستعملها فيما يكره .

٥- أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، فشكر اللسان نطقه وتحدثه بنعمة الله، وشكر القلب الإقرار بالمنعم والنعم مع كمال الذل والحب لله تعالى، وشكر الجوارح العمل بطاعة الله في امتثال أوامره واجتناب نواهيه .

٦- أن من لم يعرف النعمة ومكانتها والحكمة من إسدائها لم يعرف المنعم ولا يقدره حق قدره .

٧- أن ذكر النعم يدعو إلى الشكر، وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، واجتناب المحظور وإن أحبته النفس لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة .

٨- أن التحدث بالنعم شكر، وتركها كفر، فالذكر باللسان رأس الشكر، فما شكر الله – تعالى – من لم يذكره .

٩- أن حقيقة استعمال النعم في مرضاة الله : الاجتهاد في إقامة طاعته – سبحانه – فعلاً بما أمر به، وكفاً عما نهى عنه، وذلك يقضي تعظيمه – سبحانه – ولا تعظيم كالطاعة .

١٠- أن المصائب وإن كانت مكروهة للنفوس فيها ثلاث نعم : أن لا تكون في دين المصاب، وأن لا تكون أعظم مِمَّا كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت .وأن المؤمن إذا أصيب بالمصائب وخاصة السماوية يرى في ذلك نعمة عليه، لما يسببه ذلك من صلاح القلب والدين، والقرب من الله، وتكفير السيئات، والصون عن الوقوع في الذنوب التي تدعوه إليها شياطين الإنس والجن، فيشكر الله على هذه النعم، ويسلم للرب المحسن المدبر، الذي لا يقضي إلاَّ خيراً .

١١- أن العبد على كل حال بين أمرين : أمر يفعله الله به، فهي نعم الله التي تنزل عليه فتحتاج إلى الشكر، وأمر يفعله هو : إمَّا خير أو شر، فالخير يفتقر إلى معونة الله له، والشر يفتقر إلى الاستغفار ليمحو أثره .

١٢- أن طاعات العبد كلها لا تكون مقابلة لنعم الله عليه ولا مساوية لها، بل ولا للقليل منها .

ولذلك ظهر خطأ القدرية الذين يظنون أنهم يستحقون بأعمالهم النجاة مع أن جميع العباد تحت عفو الله ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد إلاَّ بعفو الله ومغفرته، ولا فاز بالجنة أحد إلاَّ بفضله ورحمته .

١٣- أن حقيقة الشكر عند المعتزلة القدرية : إنكار محبة الله وحقيقة إلهيته وإن كانوا يقرون بالنعمة ووجوب الشكر، إلاّ أن الشكر عندهم غاية الواجبات، فهم يوجبونه عقلاً، وأمّا العبادة والمحبة فلم يعرفوها، ولا حكمة لخلقه سبحانه عندهم ؛ لأن أفعالهم من خلقهم .

وأمّا الجهمية المجبرة فهم لا إلى هذا ولا هذا، وإن كانوا يقرون بقدرة الله، وأنه يفعل ما يشاء، ولكنها قدرة مجردة عن نعمة وحكمة .

ولهذا كانوا مرجئة مجبرة لا يجزمون بالوعيد، ويقولون بالجبر، فتضعف دواعيهم من جهة الخوف، ومن جهة الشكر لا يشكرون نعم الله الماضية، ولا يخافون عقوبته المستقبلية، فهم يوجبون الشكر شرعاً، وغلب الرجاء عندهم الخوف .

١٤- أن المعتزلة القدرية والجهمية المجبرة متفقون في نفي الحكمة والعدل في آيات الله الدالة على قدرته وربوبيته - سبحانه - وآياته الدالة على الحكمة في إنعامه على عباده .

١٥- بطلان مذهب القدرية، لمخالفته للشرع والعقل وما فيهما من البراهين التي تدل على حكمة الله وعدله، وعلى وحدانيته وصدق أنبيائه .

فآيات الله كلها نعم وآيات، بل وكل مخلوق فهو من الآيات التي تحصل بها الهداية والدلالة بأن في كل شيء آية تدل أنه - سبحانه- الواحد الفرد الصمد .

١٦- أن ما يصيب الإنسان ممّا يسره أو يسوؤه، فيه حكمة ورحمة لايعلمها العبد، تكون سبباً - بإذن الله - في تكفير الخطايا والثواب عليها بالصبر .

١٧- تلازم الآيات الدالة على قدرة الله وربوبيته، والآيات المبينة لحكمته، لكن نعمة الانتفاع بالمآكل والمشارب والمراكب والمساكن والملابس وغيرها من النعم ظاهرة لكل أحد، أمَّا نعمة ما يصدر عن قدرته - سبحانه - وإرادته الكونية الدالة على ربوبيته فلاتظهر لأكثر الناس .

١٨ - مِمَّا تبين لي في فساد مذهب القدرية في الحكمة والعدل :

أ - أنه حيث يشكر العبد لا يشكر الرب، وحيث يشكر الرب لا يشكر العبد .

ب - أنه لا يكون لله منة على عباده في تعليم الرسل وتبليغهم إلينا رسالات ربهم، وأن إرسال الرسل من جنس إرسال مخلوق إلى مخلوق ؛ لأن الأفعال - على زعمهم - منتسبة إليهم لا إلى مرسلهم الموحي إليهم .

جـ - أن الله لا يقدر - في زعمهم - على أن يجعل أحداً محسناً إلى أحد، ولا مسيئاً إلى أحد، ولا يقدر أن ينعم على أحد .

د - أنه لا يستحق أن يشكر بحال ؛ لأن الشكر - في زعمهم - إنَّما يكون على النعم، والنعم : إمَّا دينية، وإمَّا دنيوية، وإمَّا أخروية، فالنعمة الدنيوية عندهم واجبة على الله، وكذلك ما يقدر عليه من الدينية كالإرسال والخلق والقدرة .

أمَّا نفس الإيمان والعمل الصالح فهو عندهم : لا يقدر أن يجعل أحداً مؤمناً ولا مهتدياً، ولا صالحاً ... فلايستحق أن يشكر على شيء من هذه الأمور التي لم يفعلها ولا يقدر عليها - عندهم - .

وأمَّا الأخروية فالجزاء عليها واجب عليه - عندهم - كما يجب على المستأجر أن يوفي الأجير أجره، والحق أن يشكر الله على كل حال ونعمة .

قائمة المراجع والمصادر

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الأحـــاديث المختارة** : أو المستخرج من الأحاديث المختارة مِمَّا لم يخرجه الـــبخاري ومسلم في صحيحيهما، لضياء الدين، أبي عبد الله محمد بن عبدالواحد المقدســـي، دراســـة وتحقيق : د . عبدالملك بن دهيش ط الأولى ١٤١٢ هـــ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

٣- **اعـــتقادات فرق المسلمين والمشركين** : لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٢ هـــ .

٤- **أيسر التفاسير** : لأبي بكر الجزائري، ط : الأولى .

٥- **البرهان في عقائد أهل الأديان** : للسكسكي، دار التراث العربي ١٤٠٠ هـــ .

٦- **تاريخ الأمم والملوك** : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـــ .

٧- **تـــاريخ بغـــداد، أو مديـــنة السلام** : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ببيروت .

٨- **التبيان في أقسام القرآن** : لابن القيم، دار الفكر ببيروت .

٩- **تحفة المودود في أحكام المولود** : لابن القيم، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط، ط ١، مكتبة دار البيان بدمشق .

١٠- **الـــتعريفات** : لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط الأولى، ١٤٠٥ هـــ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

١١- **تعظيم قدر الصلاة** : د . عبدالرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ط ١، ١٤٠٦ هـــ .

١٢- **تفسير القرآن العظيم** : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير، دار الفكر ببيروت، ١٤٠١ هـ .

١٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** : للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : د . عبدالرحمن اللويحق، نشر : مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ .

١٤- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط الثالثة، البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٨ هـ .

١٥- **جامع الرسائل** : لابن تيمية، تحقيق : د / محمد رشاد سالم، نشر بمصر .

١٦- **الجامع الصحيح المختصر** : لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : مصطفى البغا، ١٤٠٧ هـ، دار ابن كثير واليمامة .

١٧- **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** : لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، نشر المكتبة الإسلاميَّة .

١٨- **درء تعارض العقل والنقل** : لابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٣٩٩ هـ .

١٩- **الدعاء** : لسليمان أبي القاسم الطبراني، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، ط الأولى، ١٤١٣ هـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٠- **الرضا عن الله** : لابن أبي الدنيا، تحقيق: ضياء السلفي، ط الأولى ١٤١٠ هـ، دار السلفية بومباي .

٢١- **الزهد** : لابن أبي عاصم، تحقيق : عبدالعلي عبدالحميد، ط الثانية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ .

٢٢- **الزهد** : لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٣- **الزهد** : لهناد بن السري الكوفي، تحقيق : عبدالرحمن الفريوائي، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .

٢٤- **الزهد وصفة الزاهدين** : لأحمد بن محمد بن الأعرابي، تحقيق : مجدي فتحي السيد، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ، نشر دار الصحابة بطنطا، مصر .

٢٥- **سبل السلام** : للصنعاني .

٢٦- **سنن أبي داود** : للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق : عزت الدعاس، دار الحديث بحمص سوريا .

٢٧- **سنن أبي داود** : للحافظ سليمان بن الأشعث، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر ببيروت .

٢٨- **سنن ابن ماجه** : للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٩- **السنن الكبرى** : لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : د . عبدالغفار البنداري وسيد كسروي، ط الأولى ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية ببيروت .

٣٠- **السنن (المجتبى)** : للنسائي، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، ط الثانية، ١٤٠٦ هـ، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة بحلب .

٣١- **السنن الكبرى** : للبيهقي، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز بمكة المكرمة، ١٤١٤ هـ .

٣٢- **سير أعلام النبلاء** :لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة .

٣٣- **السيرة النبوية** : لابن هشام، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل ببيروت، ط ١، ١٤١١ هـ .

٣٤- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديد ببيروت .

٣٥- **شـــرح الحافظ السيوطي لسنن النسائي** :للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيـــق : عبدالفـــتاح أبـــو غدة، ط الثانية، ١٤٠٦ هـــ، مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة بحلب .

٣٦- **شرح قصيدة ابن القيم** : لابن قيم الـــجوزية، تحقيق : زهـــير الشـــاويش، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـــ، نشر المكتب الإسلامي ببيروت .

٣٧- **شـــرح معاني الآثار** : للطحاوي، تحقيق : محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـــ .

٣٨- **شـــعب الإيمان** : لأبي بكر البيهقي، تحقيق : محمد السعيد زغلول، ط الأولى، ١٤١٠ هـــ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٣٩- **شفاء العليل** :لابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد بدر الدين أبي فراس الحلبي، دار الفكر ببيروت، ١٣٩٨ هـــ .

٤٠- **الشكر** : لابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .

٤١- **صـــحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** : لمحمد بن حبان البستي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط الثانية، ١٤١٤ هـــ، مؤسسة الرسالة ببيروت .

٤٢- **صـــحيح الإمـــام مسلم** : مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر ببيروت، ١٣٩٨ هـــ .

٤٣- **طـــبقات الحنابلة** : لمحمد بن أبي يعلى، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة ببيروت .

٤٤- **الطبقات الكبرى** : لابن سعد، دار صادر ببيروت .

٤٥- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** : لابن القيم الجوزية، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، ط الثالثة، ١٤١٤ هـــ، نشر دار ابن القيم بالدمام .

٤٦- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** : لابن قيم الجوزية، تحقيق : زكريا علي يوسف، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٤٧- **العقــود الدرية من مناقب ابن تيمية** :لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي،تحقيق : محمد الفقي، دار الكتاب العربي ببيروت .

٤٨- **عــون المعــبود شرح سنن أبي داود** : لمحمد شمس الحق آبادي، ط الثانية، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٥ هـ .

٤٩- **غاية الأماني في الرد على النبهاني** : للآلوسي، ط ٢، ١٣٩١ هـ .

٥٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : لابن حجر العسقلاني،المكتبة السلفية .

٥١- **الفرق بين الفرق** : لعبدالقاهر البغدادي، دار المعرفة ببيروت .

٥٢- **فضيلة الشكر لله على نعمته** : لمحمد بن جعفر السامري المعروف بالخرائطي، تحقيق : محمد قطيع وعبدالكريم الباقي، دار الفكر بدمشق ١٤٠٢ هـ .

٥٣- **في ظلال القرآن** : لسيد قطب، دار الشروق ببيروت .

٥٤- **كشف الكربة** : لابن رجب الحنبلي، المطبعة المحمودية بمصر .

٥٥- **لسان العرب** : لأبي الفضل بن منظور، دار صادر ببيروت .

٥٦- **لوامــح الأنــوار الــبهية** : لمحمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي ببيروت، مكتبة أسامة بالرياض، ط الثانية، ١٤٠٥ هـ .

٥٧- **مجمــع الزوائد ومنبع الفوائد** : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف ببيروت .

٥٨- **مجموع فتاوى ابن تيمية** :جمع عبدالرحمن القاسم، ط رئاسة الحرمين .

٥٩- **مختار الصحاح** : لمحمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر ببيروت .

٦٠- **مــدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** : لابن قيم الجوزية، تحقيــق : محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٣ هــ، نشر دار الفكر العربي ببيروت .
٦١- **المستدرك على الصحيحين** : للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للإمام الذهبي، توزيع مكتبة المعارف بالرياض .
٦٢- **المستطرف في كل فن مستظرف** : لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق : د . مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٨٦ م .
٦٣- **مســند أبي يعلى** : لأحمد بن علي الموصلي، تحقيق : حسين سليم أسد، ط الأولى ١٤٠٤ هــ نشر دار المأمون للتراث بدمشق .
٦٤- **المســند** : للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة، نشر دار الفكر ببيروت .
٦٥- **المسند** : لأبي سعيد الشاشي، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة دار العلوم بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠ هــ .
٦٦- **مسند الحارثي (بغية الباحث عن زوائد الحارث)** : للحارث بن أبي أسامة والحافظ الهيثمي، تحقيق : د . حسين الباكري، ط الأولى، ١٤١٣ هــ، نشر مركز خدمة السنة بالمدينة .
٦٧- **مسند الشهاب** : لمحمد بن سلامة القضاعي، تحقيق : حمدي السلفي، ط الثانية، ١٤٠٧ هــ، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .
٦٨- **المشوف المعلم في ترتيب الاصطلاح على حروف المعجم** : لأبي البقاء عبد الله العكبري، نشر جامعة أم القرى .
٦٩- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** : لأحمد بن محمد المقرزي الفيومي، توزيع دار الباز بمكة .

٧٠- **المعجم الأوسط** : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، ١٤١٥ هـ، نشر دار الحرمين بالقاهرة .

٧١- **معجم البلدان** : لياقوت الحموي، دار الفكر ببيروت .

٧٢- **المعجم الصغير** : لأبي القاسم الطبراني، تحقيق : محمد شكور، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار ببيروت وعَمّان .

٧٣- **المعجم الكبير** : لأبي القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي السلفي، ط الثانية ١٤٠٤ هـ، مكتبة دار الحكم بالموصل .

٧٤- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** : لأبي عبد الله البكري، تحقيق : مصطفى السقا، عالم الكتب ببيروت ١٤٠٣ هـ .

٧٥- **مفتاح دار السعادة** : لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية ببيروت .

٧٦- **المفردات في غريب القرآن** : لحسين الراغب الأصفهاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ببيروت .

٧٧- **مكارم الأخلاق** : لابن أبي الدنيا، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٤١١ هـ .

٧٨- **منال الطالب في شرح طوال الغرائب** : لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق : د . محمود الطناحي، طباعة ونشر جامعة أم القرى .

٧٩- **المنتقى من منهاج الاعتدال** : لأبي عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بمصر .

٨٠- **منهاج السنة النبوية** : لابن تيمية، تحقيق : د . محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٠٦ هـ .

٨١- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** : لأحمد المقري، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ١، ١٣٦٧ هـ .

٨٢- **النهاية في غريب الأثر** : لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق : طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، ١٣٩٩ هـ، نشر دار الفكر ببيروت .

٨٣- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار** : للشوكاني، دار الجيل ببيروت، ١٩٧٣ م .

٨٤- **الوابل الصيب من الكلم الطيب** : لابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، نشر الكتاب العربي ببيروت.

٨٥- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق : د . إحسان عباس، دار صادر ببيروت .